بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٤٩ ـ رجب ١٤٣٢هجرية قمرية

خرداد ١٣٩٠هجرية شمسية / يونيو (حزيران) ٢٠١١

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦٩٨٢١ + هاتف: ٨٨٣٢١٤١١ ٩٨٢١ +

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقـــع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٤٩

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ٤

الإمام الخميني (رض) بمناسبة ذكرى رحيله ٢٣

بعض أفكار الإمام الخميني (رض) بمناسبة ذكرى رحيله.....٣٥

خطاب السيد حسن نصر الله في مؤتمر التجديد والاجتهاد ٥٥

البعد التقريبي في شخصية الشهيد البنا ٦٤

رؤى التقريب عند الشهيد الأول والشهيد الثاني.....٧٥

أفكار وآراء بشأن التقريب ٩٠

المثقفون والبحث عن النهايات ١٠٤

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

حول الثورة الإسلامية

• الخطة المرسومة للشرق الاوسط تقتضي أن تسيطر على بلدانه حكومات ضعيفة ومتعادية وعميلة، وان تكون شعوبها مستهلكة متخلفة علميًا • هدف المستعمرين تجاه الجمهورية الإسلامية: الإسقاط، أو المسخ أو الاختراق • أهم ما حققته الثورة: إحياء الإسلام، والاستقلال السياسي، ونظام الشورى، والتطوير العلمي، والمكانة السياسية على الساحة العالمية، والعدالة الاجتماعية، وعدم الاستسلام أمام الضغوط.

ما أريد أن أقوله حول ثورتنا.. هذا الحدث العظيم للشعب الإيراني ـ وهو مصدر دروس وعبر لنا ـ هو أولاً تقديم صورة لواقع العالم، حتى نرى ماذا كان يريد المستكبرون والمستعمرون والعتاة والقوى المهيمنة في العالم، وماذا حصل. ما الذي تابعوه وما الذي وقع على الصعيد العملي. ثم أذكر خصوصيتين من خصوصيات الثورة تتعلق بفترتنا هذه.

أهداف المستكبرين في منطقتنا

بخصوص الشطر الأول المتعلق بصورة الواقع الراهن، ومقارنته بالشيء الذي أراده عتاة وطغاة العالم، أقول إن المنتصرين في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهم بعض البلدان الأوربية وأمريكا، كانت لهم سياسة ثابتة لمنطقة الشرق الأوسط المهمة. فهذه المنطقة مهمة إنْ من حيث الموقع العسكري حيث هي نقطة اتصال آسيا وأوربا وأفريقيا، وإنْ من حيث كونها أحد أكبر مخازن النفط في العالم، والنفط هو شريان حياة كل القوى الصناعية المتسلطة على العالم، وإن من حيث شعوب المنطقة حيث فيها شعوب عريقة ومتجذرة وذات سوابق تاريخية. لذلك رسموا لهذه المنطقة سياسة معينة، وكانت هذه السياسة عبارة عن أنه يجب أن تكون في هذه المنطقة بلدان ووحدات سياسية لها هذه الخصوصيات:

أولاً يجب أن تكون ضعيفة.

ثانيًا يجب أن تكون متعادية مع بعضها ومتعارضة وغير مجتمعة ولا تستطيع الاتحاد ـ لذلك لاحظتم سياسة تقوية القومية العربية والقومية التركية والقومية الإيرانية تتابع طوال الأعوام المتمادية.

ثالثًا يجب أن يكون حكام هذه البلدان عملاء ومطيعين وخاضعين للقوى الغربية من الناحية السياسية.

رابعًا يجب أن تكون هذه البلدان من الناحية الاقتصادية

مستهلكة، بمعنى أن تنفق أموال النفط الذي ينتزع بالمجان تقريبًا من أيديهم للاستيراد والاستهلاك حتى تزدهر المصانع الغربية.

خامسًا يجب أن تكون متخلفة من الناحية العلمية، ولا يسمح لها بالتقدم علميًا.

هذه النقاط التي أذكرها إنما هي رؤوس نقاط، ويمكن حقًا تأليف كتب وذكر تفاصيل كثيرة لكل واحدة منها. كيف حالوا في بلدنا إيران وفي بعض البلدان الأخرى دون تنمية العلوم وتعميقها، وكيف أرادوا أن تكون شعوب هذه المنطقة من الناحية الثقافية مقلدة محضة للأوربيين، وتكون من الناحية العسكرية ذليلة وضعيفة وهشة. وتكون من الناحية الأخلاقية فاسدة ومنحطة بمختلف الأشكال. ومن الناحية الدينية سطحية تمامًا وقانعة بنوع من التدين الفردي وربما التشريفاتي. هذه هي الصورة التي رسموها لأنفسهم عن هذه المنطقة، وخططوا سياساتهم على هذا الأساس. ربما اجتمع الخبراء الاستراتيجيون الغربيون آلاف الساعات ودرسوا هذه القضايا وفكروا ووضعوا البرامج وعيّنوا عناصرهم هنا في بلدان هذه المنطقة، ونفذوا الأمور والأعمال بواسطتهم. وفق هذا التحليل يمكن إدراك سلوك رضا خان بصورة صحيحة، ويمكن كذلك إدراك ما قام به مصطفى كمال في تركيا، وآخرون وآخرون. هذه كانت برامجهم وخططهم.

و قد نجحوا.. نجحوا في ذلك في ايران قبل انتصار الثورة

الإسلامية باستثناء فترات قصيرة من الزمن وفي مصر مثلاً باستثناء عدة سنوات تولّت فيها الأمور حكومة وطنية، وفي أماكن أخرى بأشكال أخرى، ولكن على العموم، وحين ننظر للأمور على إطلاقها، فقد تقدم هؤلاء على كافة المستويات. ولكن قبل الثورة وقعت فجأة حادثة كبرى وانفجار عظيم غيّر كل أوضاعهم. ظهر في الشعب الإيراني رجل عالم متميز حكيم فقيه مجاهد شجاع مقدام نافذ الكلمة باسم **الإمام الخميني**، وقد كان ظهور هذا الرجل ووجوده وتربية هذا الإنسان الكبير من فعل الله حقاً. كان هذا تقديرًا إلهيًا أن يقع مثل هذا الحدث. وقد كان الشعب الإيراني مستعدًا فتقبّل الأمر ورحّب به وألقى بنفسه في الأهوال والمخاطر ونزل إلى الساحة وضحّى بنفسه وماله ونجح في الامتحان، لذلك كانت الثورة الإسلامية، وتغيّرت كل هذه الحسابات واضطربت واختلت. ظهرت الثورة الإسلامية في إيران بقوة واستمرت بقوة. أي لم يكن الأمر بحيث تتصاعد حالة الهياج والحماس في السنة الأولى والثانية والثالثة ثم تنتهي الأمور، لا، بل لقد تواصل الأمر، ولدي ما أقوله بخصوص هذا الاستمرار سأذكره لاحقاً.

وقف الإمام كالجبل ووقف الشعب وراء الإمام كالجبل الشامخ. وبذلت جبهة الأعداء كل ما استطاعت من الجهود والمساعي، وفعلوا كل ما كانوا يستطيعون فعله، ابتداء من حروب الشوارع، إلى الحروب القومية، إلى الانقلاب العسكري،

إلى فرض حرب السنوات الثمانية، إلى الحظر الاقتصادي، إلى إطلاق ماكنة هائلة من الحرب النفسية طوال إثنين وثلاثين عامًا.. منذ إثنين وثلاثين عامًا والحرب النفسية ضد الشعب الإيراني وضد الثورة وضد الإمام قائمة.. مارسوا الكذب وتوجيه التهم وبث الإشاعات، وسعوا لزرع الخلافات وتحريف السبل في الداخل.

أهداف الاستكبار

الأهداف التي كانوا يسعون لها هي بالدرجة الأولى إسقاط الثورة ونظام الجمهورية الإسلامية. كان هدفهم الأول الإسقاط. وهدفهم الثاني هو أنه إذا لم يتحقق إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية فسيسعون لمسخ الثورة واستحالتها، فتبقى صورة الثورة ويزول باطنها وسيرتها وروحها. حاولوا الكثير في هذا المجال، وكان آخر مسرحياتهم التي عرضت على الخشبة فتنة عام ٨٨ (٢٠٠٩م) . كانت في الحقيقة مسعى من المساعي. ووقع البعض في الداخل أسرى هذه المؤامرة بسبب حب الذات وحب المناصب وما إلى ذلك من الأمراض النفسية الخطيرة. وقد قلت مرارًا إن المخطط والمصمم والمدير كان ولا يزال خارج الحدود. وقد تعاونوا معهم في الداخل، بعضهم عن علم والبعض الآخر عن غير علم. هذا هو الهدف الثاني.

وكان الهدف الثالث ولا يزال هو أنه لو بقي النظام الإسلامي فيمكن دس عناصر من ضعيفي النفوس فيه، والاستفادة منهم، وجعلهم أطرافه الأصليين الذين يتعامل معهم في خصوص قضايا

البلاد. وبالتالي يريدون أن يكون هناك نظام لا يمتلك القدرة الكافية، ويكون ضعيفاً ومطيعًا ـ المهم هو أن يكون عميلاً ومطيعًا ـ ولا يقف في وجه أمريكا. هذه هي أهدافهم.

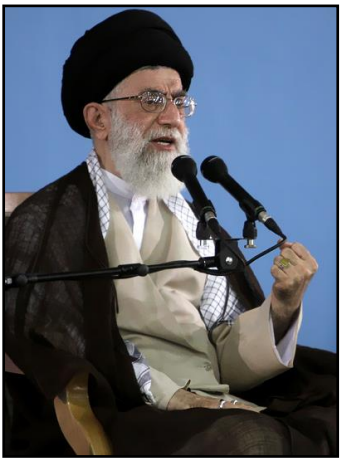

و قد فشلت هذه الأهداف وهذه المراحل لحد الآن ولم يستطيعوا تحقيقها. طبعًا بذلوا الكثير من المساعي وتابعوا ممارسات متنوعة ـ سوف أشير إلى بعضها خلال حديثي ـ ولم يدخروا أي جهد، لكنهم لم ينجحوا، لأن الشعب كان يقظًا. لدينا في المجتمع نخب جيدة، وشعبنا شعب صالح جيد، ولدينا مسؤولون جيدون. ولم يستطع العدو لحد الآن والحمد لله تحقيق أهدافه. لقد واصلت الثورة طريقها وتقدمت.

والآن نسأل: ما الذي حدث في الثورة؟ هذه أمور مهمة. الثورة التي حدثت في إيران أوجدت تغييرات تعتبر مهمة من حيث العمق، فهي تغييرات أساسية. على أساس هذه التغييرات يمكن التقدم بالمجتمع وإيجاد تغييرات واسعة. لقد أرسيت هذه الدعائم الأصلية بشكل متين ومحكم.

أذكر هنا بعض التغييرات التي وقعت. وهي طبعًا مما يعلمه الجميع ونعلمه كلنا، فهي أمور مقابل أنظارنا، ولكن، كما

يلفت الله تعالى أنظارنا في القرآن الكريم إلى الشمس ﴿والشمس وضحاها﴾ ، والشمس مقابل أعيننا ، لكنه يقسم بها لننتبه إلى أن هذه الظاهرة وهذه الحادثة وهذا الموجود له كل هذه العظمة.. نحن كذلك يجب علينا التنبّه لهذه الظواهر العظيمة المحيطة بنا. لذلك فإن ذكر هذه الأمور ضروري من حيث أننا يجب أن نتوجّه وننتبه لها.

ما أرادوه وما أراده الله

□ أولاً كان النظام الحاكم في البلاد قبل الثورة نظامًا محاربًا للإسلام بشدة. لم يكن لهم شأن كبير بالظواهر، ولكن على المستوى العميق كانوا يسعون بجد لاستئصال جذور الإيمان الإسلامي لدى الشعب. والأمثلة والشواهد والخواطر في هذا المجال كثيرة في بالي، ولا فرصة هاهنا لاستعراضها. وجاءت الثورة لتكون على الضد من ذلك مائة وثمانين درجة، فجعلت الإسلام محورًا لإدارة البلاد وأصبحت الأحكام والقوانين إسلامية، وكذلك المعايير والملاكات لقبول القوانين أو رفضها، ومعايير عمل الجهات التنفيذية في البلاد.

كان البلد يعيش التبعية من الناحية السياسية قبل الثورة. أي إن الحكومة ومحمد رضا نفسه والأجهزة المختلفة كانت مطيعة لأمريكا وتنتظر إشارات أمريكا. وهنا أيضًا الشواهد كثيرة. شخص يقوم ويذهب من هنا إلى أمريكا (الدكتور أميني) من أجل أن يقنع الأمريكان بأن يكون رئيس وزراء إيران، وعاد

وصار رئيسًا للوزراء. وبعد سنة أو سنتين ذهب الشاه، وكان غير راغب فيه، إلى أمريكا وأقنع الأمريكان بأن يعزله عن رئاسة الوزراء، وعاد فعزله عن رئاسة الوزراء! كان هذا واقع بلدنا آنذاك. من أجل انتخاب رئيس الوزراء كان الشاه ورئيس البلاد بحاجة لموافقة الأمريكان ورضاهم! في كثير من الأمور كان الشاه يدعو سفير أمريكا وسفير بريطانيا لقصره ليطرح عليهم القرار الذي يريد اتخاذه! وإذا خالفوا فإن القرار لا يجد طريقه للتطبيق العملي! هذه هي التبعية السياسية. كانوا مطيعين لأمريكا، وقبل الفترة الأمريكية كانوا مطيعين لبريطانيا. البريطانيون أنفسهم جاءوا برضا خان إلى السلطة، وحينما وجدوا أنه لم يعد ينفعهم عزلوه عن السلطة وطردوه من البلاد وجاءوا بابنه إلى السلطة. كان هذا قبل الثورة.

وجاءت الثورة فحققت للبلد استقلاله السياسي الكامل. في هذا العالم الكبير اليوم، وبين هذه القوى الكبرى، لا توجد أية قوة تستطيع أن تزعم أن إرادتها لها تأثير على إرادة مسؤولي البلاد أو الشعب الإيراني. وهذه النقطة بالذات، أي الصمود والاستقلال والعزة السياسية، لها أكبر الجاذبية في نفوس الشعوب. حين ترون أن الشعوب تحترم الشعب الإيراني الكبير فإن الجانب الأكبر من هذا الاحترام يعود لهذا السبب.. الاستقلال السياسي.

□ قبل الثورة كان نظام الحكم ملكيًا ووراثيًا يموت واحد ويعيّن آخر مكانه. أي إن الناس لم يكن لهم أي دور، كانوا

مضطرين للقبول شاء وا أم أبوا. وفي الجمهورية الإسلامية وببركة الثورة فإن الدولة منتخبة، والناس هم الذين ينتخبون، وذوق الناس وإرادتهم هي الحاسمة... جاءت الثورة فجعلت الأجواء حرة.. أجواء النقد والإصلاح والتذكير والتنبيه، وحتى أجواء المخالفة والاعتراض فتحتها الثورة أمام الناس.

□قبل الثورة كان اعتماد البلد في العلوم والتقنيات على الغرب تمامًا. وقد قلت مرارًا إن بعض قطع طائراتنا العسكرية حينما كانت تعطل أو تستهلك، وكان يراد إصلاحها لم يكونوا يسمحون للمهندسين الداخليين في القوة الجوية بفتح هذه القطعة ليروا ما هي، ناهيك عن أن يفكروا في تصليحها. كانوا يضعون القطعة في طائرة ويأخذونها إلى أمريكا ويأتون بغيرها مكانها، إلاّ اللهم إذا كانت أمريكا قد سمحت لهم بتعميرها. لم تكن هناك صناعة، كانت الصناعة تجميعية محضة من دون أي ابتكار. وبعد الثورة توفرت الثقة بالذات العلمية، والاعتماد على النفس الوطني. وهاهم العلماء البارزين الكبار في مختلف حقول العلم. لدينا اليوم علماء في داخل البلاد يندر أن يوجد أمثالهم في العالم. لقد تقدم علماؤنا ومعظمهم من الشباب.

□قبل الثورة لم يكن لإيران أي تأثير في القضايا العالمية، وحتى في قضايا المنطقة. كان البلد مهانًا، وليس بمقدوره ترك أي تأثير في القضايا المختلفة. وبعد الثورة تحققت للشعب عزة وعظمة في أنظار شعوب العالم، وأصبح له تأثير في قضايا المنطقة إلى

درجة بهرت الأعداء وفرضت عليهم الاعتراف بذلك. لاحظوا اليوم المواقع الالكترونية التي تورد الأخبار الأجنبية، يتحدثون فيها دومًا عن نفوذ إيران وتمكنها وتواجدها وحضورها في قضايا المنطقة. يذكرون ذلك حتى بدوافع مغرضة أحيانًا، لكنهم يعترفون على كل حال...

حينما يتم إرساء مثل هذه الدعائم في بلد عندئذ يستطيع الشعب أن يكون متفائلاً بأن يستطيع بناء صرح حضارة جديدة وعظيمة على هذه الدعائم. كل واحدة من هذه الخصوصيات تستقطب أنظار الشعوب بنحو من الأنحاء. تنظر الشعوب الأخرى فترى وتنجذب وتثني وتمدح والأهم من كل شيء طبعًا هو حالة الاستقلال السياسي والصمود في مقابل عسف الأعداء.

أروي هنا رأيًا لعالم غربي. وليس من دأبي أن أنقل شيئًا من أقوال هؤلاء الساسة الغربيين وثنائهم. لكن هذه العبارة ملفتة، فهو يقول: شيئان إذا تداولهما المسلمون من يد ليد وتعرفت عليهما الشعوب المسلمة فسوف تتحطم جميع التابوات الغربية ــ أي الأصول الغربية الجزمية ـ وتصبح باطلاً. فما هما هذان الشيئان؟ يقول هذا المفكر الغربي: أحدهما دستور الجمهورية الإسلامية، وهو الدستور الذي يوفر نظام حكم جماهيري شعبي تقدمي عصري، وفي نفس الوقت ديني، أمام أنظار المسلمين في العالم. إنه دستور يدل على أن بالإمكان تأسيس نظام حكم يتصف بالحداثة والعصرية والتقدم ويكون دينيًا تمامًا. هذه هي الصورة

التي يرسمها الدستور. يقول إن مثل هذا الشيء ممكن. هذا أحد الشيئين والثاني ملف النجاحات العلمية والاقتصادية والسياسية والعسكرية للجمهورية الإسلامية وهو ما لو توفر للمسلمين لوجدوا أنه أمر ممكن وقد حصل. يقول: لو أن الشعوب المسلمة اطلعت على هذه الإمكانية والحصول النسبي، أي إن هذا الشيء ممكن وقد تحقق بنحو نسبي في إيران الإسلامية اليوم، ولو وضع هذا النظام أمام أنظارهم، فلن يعد بالإمكان الحؤول دون سلسلة الثورات.

لقد حصل هذا الشيء اليوم. وهو طبعًا لم يحصل اليوم، بل حدث منذ ثلاثين عامًا. إنها فكرة تتموضع تدريجيًا وبصورة هادئة في أذهان الشعوب، وتنمو وتنضج ثم تبرز بهذا الشكل الذي تشاهدونه حاليًا في شمال أفريقيا والمناطق الأخرى.

طبعًا ارتكب الغربيون أنفسهم أخطاء سياسية، وقد ساعدت هذه الأخطاء السياسية الجمهورية الإسلامية. لاحظوا أن الغربيين أخطأوا في خصوص الملف النووي الإيراني. فقد ضخموا القضية النووية الإيرانية من أجل أن يواجهوها، وأثاروا حولها الضجيج ومارسوا الضغوط وقالوا إن على الجمهورية الإسلامية التراجع عن قضيتها النووية. ولكن أتضح للناس في العالم طوال هذه الأعوام شيئان أحدهما هو أن إيران استطاعت تحقيق تقدم لم يكن متوقعًا في الملف النووي. والثاني هو إن إيران صمدت ولم تتراجع على الرغم من كل هذه الضغوط. وهذا لصالح الشعب الإيراني.

والآن يعلم العالم كله أن أمريكا وأوربا وأعوانهم وأتباعهم رغم كل الضغوط التي مارسوها لم يستطيعوا التغلب على الجمهورية الإسلامية وفرض التراجع عليها. هذا ما تمت معرفته وانتشاره على يد أعداء الشعب الإيراني أنفسهم، أي إنهم ساعدوا على تعريف الشعب الإيراني.

وكذا الحال في القضايا الأخرى. أثاروا الضجيج بأننا نريد حظر البنزين على إيران فلا يصدّر البنزين إلى إيران. حسنًا، لقد كنا ولا نزال من مستوردي البنزين. قالوا نريد منع دخول البنزين إلى إيران. وأثاروا الضجيج حول هذا الموضوع. وراح محللوهم يخمّنون أن البلاد ستضطرب والناس ستفعل كذا وكذا. لكن هذا أدى إلى أن يفكر المسؤولون هنا بإنتاج مزيد من البنزين.

واليوم حسب التقرير الذي عندي سوف تستغني بلادنا بتوفيق الله عن استيراد البنزين تمامًا.. حسب التقرير الذي رفعوه لي سوف نستطيع بعد الآن أن نصدر البنزين، وقد أصدروا الأوامر بذلك. هنا انتهى ضجيجهم لصالح شعب إيران. وقد شاهد المراقبون الدوليون ذلك. هكذا الحال في جميع القضايا. هكذا كان الحال بالنسبة لحظر الأسلحة في فترة الحرب. وكذا في قضية خلق تيار إسلامي متطرف وموازٍ. خلقوا في جوارنا تيارًا إسلاميًا متطرفًا من أجل مزاحمة الجمهورية الإسلامية والإضرار بها فأصبح الآن آفة عليهم، ولا يستطيعون السيطرة عليه والحؤول دونه، ولا يدرون كيف يعالجون الأمر. وكذا الحال بالنسبة لبثهم

الخلافات الطائفية. وكذا الحال في فتنة سنة ٨٨ (٢٠٠٩) حيث أثاروا الضجيج والصخب وقالوا إن الجمهورية الإسلامية انتهت والخلافات انتشرت وحدث كذا وكذا. ثم نظروا فوجدوا أن الشعب الإيراني قد تغلب.. القلوب بيد الله، وقد جاء الله تعالى بهذه القلوب إلى وسط الساحة، وأبدى الشعب الإيراني عظمته وأثبتها. كل ما فعلوا شيئًا أنتهى بضررهم، وسيكون الأمر كذلك بعد الآن أيضًا. هذا واقع مشهود في العالم حاليًا. أرادوا شيئًا وحصل شيء آخر.

وأما النقطة الثانية التي ذكرت أنني يجب أن أقولها فهي إننا لو أردنا تشخيص أهمية أية ظاهرة وتشخيص نجاحها فيجب أن ننظر كم استطاعت هذه الظاهرة أن تكون نموذجية ومثالاً يحتذى، وكم استطاعت الصمود والاستقامة والثبات والبقاء على مبادئها وكلامها. وهكذا هو الحال بالنسبة للثورات. إذا أرادت الثورة التأثير على أذهان الآخرين وممارساتهم والتحول إلى نموذج لهم فيجب أن تتحلى بخصوصيات أهمها الثبات والاستقامة والصمود. عندئذ تكون الثورة نموذجًا للآخرين، وإلا فالبرق الذي ينقدح في مكان ثم ينطفئ لا يمكنه أن يعدّ نموذجًا ومثالاً، ولا يمكنه ترغيب الآخرين بأن يتبعوه. وقد استطاعت ثورتنا أن تكون ملهمة، وأن توفر نموذجًا ومثالاً، وقد كان هذا نتيجة الثبات والاستقامة والصمود على الأصول والأركان الرئيسية التي أعلنها الإمام الخميني لهذه الثورة.

صور من الاستقامة والصمود

لقد صمدت هذه الثورة. ويمكن أن أذكر عدة أمثلة في هذا الباب. **من الأمثلة الصفة الإسلامية**. قال الإمام منذ البداية إن ثورتنا إسلامية، وتقوم على أساس الإسلام، وثار ضجيج كبير في العالم فقالوا إن الإسلامية لا تجتمع مع الديمقراطية، والإسلامية رجعية وتأخر، والأحكام الإسلامية لا يمكن تطبيقها وكذا وكذا وكذا. وراح البعض يكرر أصواتهم في الداخل، فكتبوا الكتب والمقالات، وبثوا الإشاعات من أجل فرض التراجع عن الالتزام بالإسلام على الجمهورية الإسلامية. لكن الجمهورية الإسلامية صمدت وثبتت ولم تستسلم للضجيج والصخب. **نعم نحن إسلاميون ونفخر بهذا ونثبت أن هذا هو سبيل إنقاذ البشرية. هذا ما أعلنته الجمهورية الإسلامية بصوت عال للعالم كله.**

انظروا إلى مجتمعنا اليوم الشباب الذين لم يروا الإمام ولم يعاصروا فترةالحرب ولا يتذكرون شيئًا عن الثورة نرى أن التزامهم بمباني الإسلام أفضل وأقوى من بعضنا نحن الشيوخ. مسؤولو البلاد يفخرون بالإسلامية. طبعًا طوال هذه الأعوام الـ ٣٢ جرت محاولات عديدة، وقد كان هناك بعض الأشخاص حتى داخل المنظومة الحكومية يحاولون أن يسلكوا سبلاً ملتوية ليبتعدوا تدريجيًا، لكنهم لم يستطيعوا. ثبتت الجمهورية الإسلامية على مبادئها وإسلاميتها.. هذا نموذج.

والنموذج أو المثال الآخر قضية الديمقراطية. أعلن الإمام

الخميني منذ اليوم الأول أن الشعب يجب أن يدلي برأيه سواء في أصل انتخاب الجمهورية الإسلامية، أو في تدوين الدستور، أو في قبول الدستور الذي تمت المصادقة عليه في مجلس الخبراء، أو في انتخاب رئيس الجمهورية، أو في انتخاب المجلس.. ثبت الإمام.. وإذا حسبنا الانتخابات والاستفتاءات المقامة لكان عددها مساو لعدد سنين عمر الثورة حيث توجهت الجماهير لصناديق الاقتراع وأدلت بأصواتها وانتخبت. انتخاب الشعب مهم جدًا. كانت طهران في فترة الحرب المفروضة تحت القصف، لكن الانتخابات لم تتعطل. لم تتعطل الانتخابات في المدن التي كانت تحت القصف الصاروخي لنظام صدام خلال فترة الحرب. وفي إحدى دورات مجلس الشورى ضغطوا لتأخير الانتخابات لأسباب سياسية تتعلق بهم، لكنهم لم ينجحوا. لم يحصل تأخير حتى يوم واحد في انتخابات الجمهورية الإسلامية ومشاركة الجماهير لحد الآن. هذه هي الديمقراطية. قالها الإمام الخميني منذ اليوم الأول، وبقيت الجمهورية الإسلامية ثابتة على هذه الديمقراطية. لم يوافق على تجاوز الديمقراطية. واليوم فإن مسؤولي البلاد ابتداء من خبراء القيادة الذين ينصبون القائد ويعزلونه، إلى رئاسة الجمهورية، إلى مجلس الشورى، إلى المجالس البلدية هم من المنتخبين من قبل الشعب. وقد تولت الأمور تيارات متنوعة ولم يتولّ الأمور تيار واحد، منذ اليوم الأول وإلى الآن تولى الأمور عدة رؤساء جمهورية، وكان لكل واحد منهم توجه وميول سياسية معينة لكنهم تولوا الأمور كلهم بانتخاب الشعب.

المثال الآخر هو العدالة الاجتماعية. أعلن الإمام الخميني مبدأ العدالة منذ اليوم الأول. والعدالة الاجتماعية أصعب من كل هذه الأمور والمهمات. أقول لكم إن تكريس العدالة الاجتماعية أصعب من الحفاظ على الديمقراطية، وسائر المهمات في الجمهورية الإسلامية. إنها عملية صعبة جدًا. ولا نقول إننا استطعنا إلى اليوم تكريس وتحقيق العدالة الاجتماعية بشكل كامل، لا، لا تزال المسافة بعيدة جدًا. لا تزال المسافة كبيرة بين العدالة التي أرادها منا الإسلام وما هو موجود اليوم في مجتمعنا، بيد أن المسيرة نحو العدالة الاجتماعية لم تتوقف وهي مستمرة وتتصاعد يومًا بعد يوم. التحرك باتجاه العدالة الاجتماعية أشد حاليًا من الأعوام والدورات الماضية. من المصاديق المهمة للعدالة الاجتماعية التقسيم والتوزيع المناسب للفرص في البلاد. في الأنظمة الغافلة عن حقيقة العدالة الاجتماعية يجري التشديد على طبقة خاصة وعلى مناطق خاصة من البلاد، ولكن في الجمهورية الإسلامية كلما مضى الزمن وتقدمنا ـ وقد مضى لحد الآن ٣٢ عامًا ـ نجد أن هذا المعنى يتكرس ويقوى أكثر. فالقرى تندرج ضمن مناطق المراقبة والاهتمام، وكذلك المدن النائية. كل هذا البناء للمساكن في القرى والأرياف، وكل هذا المدّ للطرق نحو المدن البعيدة والقرى في البلاد.. طرق التواصل، والاتصالات على اختلاف أشكالها، وتوصيل الطاقة الكهربائية والمياه الصالحة للشرب والهاتف وإمكانيات الحياة.. كل هذه الأمور تم توزيعها في مختلف أنحاء البلاد.

هـذه الأسـفار والزيـارات الـتي يقـوم بهـا المسـؤولون للمحافظـات والمدن، وبعض هذه المدن البعيدة لم يكـن أهاليهـا يتصـورون يومًـا أن يشـاهدوا مسـؤولاً مـن الدرجـة الثانيـة، ويـرون اليـوم أن مسـؤولي البـلاد رفيعـي المسـتوى يـزورونهم.

هذا شيء على جانب كبير من الأهمية والقيمة. حينما يذهب المرء إلى هنـاك ويشـاهد المشـكلات فسـوف تتـوفر المحفـزات لمعالجـة المشـكلات، وهـذا هـو تحقيـق العدالـة الاجتماعيـة. نحـن نسـير باتجاه العدالة الاجتماعية.

مـا يشـاهده المـرء مـن حيـاة المسـؤولين في العـالم إنمـا هـو حيـاة باذخـة ارسـتقراطية. الـذين يصـلون إلى الحكـم ويتولـون رئاسـة الجمهورية أو مناصب رفيعة تنقلب حياتهم رأسًا على عقب. لكـن الأمر ليس كذلك في بلادنا. **طبعًا أمثالي يجب أن يطابقوا حياتهم مـع أضـعف وأفقـر شـرائح المجتمـع، لكننـا لم نسـتطع ولم نوفـق لذلك. هذا شيء لم يحصل، لكـن حيـاة مسـؤولي البـلاد والحمـد للّه كحياة الناس المتوسطين، وبعضهم دون المتوسـط. وهـذا شـيء قيم جدًا.**

مشـاريع أسـهم العدالـة، والمسـاكن الريفيـة، وترشـيد الـدعم الحكـومي.. هـذه أعمـال كـبيرة. وإذا اسـتطاع مسـؤولو الـبلاد إن

شاء الله تطبيقها بنحو جيد فهي على جانب كبير من الأهمية. بالنسبة للدعم الذي كانت الحكومة تمنحه للجميع لقاء الطاقة الكهربائية، أين الذي يستهلك الكثير من الكهرباء في بيته لوجود ثريات عديدة فيه من الذي لا يوجد في بيته سوى مصباح أو مصباحين؟! الشخص الأكثر ثراء كان يستفيد من هذا الدعم أكثر، وهذا ظلم، ويريدون الحؤول دون هذا الظلم. وكذا الحال بالنسبة للخبز والبنزين وغير ذلك. نحن صامدون والنظام صامد على شعار العدالة الاجتماعية.

النقطة الأخرى هي مقارعة الاستكبار وعدم الاستسلام مقابل الضغوط. ونحن صامدون في هذا المجال أيضًا. وقد كانت هذه العملية صعبة لكن الجمهورية الإسلامية استطاعت إنجاز هذه المهمة الصعبة بنجاح. كان هناك الكثيرون يقولون منذ بداية الثورة ما دامت الثورة قد انتصرت فلنكتف ولنذهب وننهي الأمور مع الأمريكيين! ومعنى هذا هو تخطئة شعار مقارعة الظلم في هذه الثورة. كانوا يشجعون على هذا. وقد كان هناك على مرّ الزمن من يريدون هذا الشيء، أن نذهب ونتماشى مع أمريكا، وننضوي تحت مظلة ورعاية من هم أعداؤنا الأصليون.

و معنى هذا الكلام بيع القضية الفلسطينية وغض النظر عن جرائم أمريكا في العراق وأفغانستان وأمثال ذلك. معنى هذا الكلام غض الطرف عن كل هذا الظلم الذي تمارسه أمريكا في العالم. معنى هذا الكلام عدم الاعتراض على هذه الأمور

والقضايا. تطبيع العلاقات معناه أن لا يعود الشعب الإيراني والمسؤولون الإيرانيون قادرين على التصريح باعتراضهم وإطلاق كلامهم، وفي مرحلة مقبلة سيضطرون تدريجيًا لقبول كلام أولئك. وقد كانت هذه الاستقامة صعبة جدًا، لكنها كانت مباركة واستجلبت الرحمة الإلهية، ولفتت أنظار الشعوب. صمودكم أيها الشعب الإيراني في هذه الأعوام على الشعارات الأصلية للثورة كانت فيه بركة كبيرة هي أن ينظر لكم العالم الإسلامي اليوم بعين الإعظام والإجلال. حينما يزور مسؤولو بلادكم البلدان المختلفة يستقبلونهم بكل حفاوة وترحيب. عندما يحسب المراقبون شعبية الشخصيات السياسية يقف مسؤولو بلادكم في المرتبة الأولى. لقد أصبح ما قام به الشعب الإيراني نموذجًا يحتذى. وتلاحظون اليوم علامات ذلك. هذه البركة الكبرى وهذه الخصوصية من تلك التي لا تتضح إلا بمضي الزمن.

يسمع في مصر اليوم انعكاس أصواتكم. رئيس جمهورية أمريكا في زمن انتصار ثورتنا تحدث قبل أيام في مقابلة وقال إن الأصوات التي تسمع في مصر اليوم معروفة عندي! أي إن ما يسمع في القاهرة اليوم كان يسمع في طهران أيام رئاسة جمهوريته. هذا ما يحكم به العالم ويقوله، لذلك فإن عشرة الفجر في بلادنا لهذا العام مهمة وحساسة وحماسية. وسوف تزيد مظاهرات ذكرى انتصار الثورة التي تخرجون بها أيها الشعب العزيز إن شاء الله من مفاخركم.

بمناسبة الذكرى السنوية لرحيله في ٤ حزيران ١٩٨٩م

الإمام الخميني (رض)

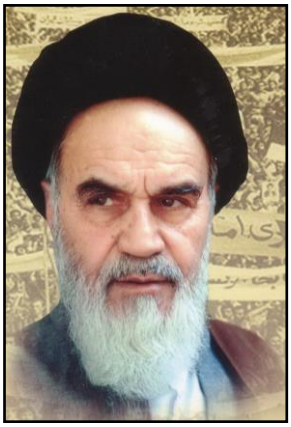

روح الله بن السيد مصطفى (والسيد تعني هنا أنه من أبناء فاطمة بنت رسول الله) الموسوي (وتعني أنه من أبناء موسى بن جعفر سابع أئمة آل البيت) الخميني (نسبة إلى مدينة خمين على بعد ٣٥٠ كلم جنوب طهران).

ولد في ٢٠ جمادى الآخرة عام ١٣٢٠هـ (٢٤ سبتمبر ١٩٠٢م) من أسرة اشتغلت بطلب العلم والدعوة بين العراق وإيران وشبه القارة الهندية. عرف والده بالدفاع عن حق الفلاحين ومواجهة الخوانين (جمع خان وهو الإقطاعي)، وتعرّض جراء هذه المواقف للقتل في نفس سنة ولادة ابنه روح الله.

تربّى الابن على يد والدته السيدة هاجر، وعمّته السيدة صاحبة، وأتمّ مقدمات دراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه خمين ثم انتقل إلى مدينة أراك (٢٩٠ كلم جنوب طهران) وواصل دراسته في حوزتها (والحوزة هي معهد الدراسات الدينية الحرّة). ثمّ

انتقل من أراك إلى الحوزة العلمية الكبرى في مدينة قم (١٦٠ كلم جنوب طهران)، وبقي فيها حتى نفاه الشاه منها.

حياته العلمية:

عُرف روح الله بالجدّ والاجتهاد في تلقّي الدروس، فأنهى دراسة مقدّمات علوم اللغة العربية والمنطق والفقه والأصول في خمين وأراك وواصل دراساته الفقهية والأصولية بمدينة قم على يد كبار الأساتذة وعلى رأسهم زعيم الحوزة العلمية في قم آنذاك الشيخ عبد الكريم الحائري.

ويظهر أن نَهم الشاب روح الله في تلقّي العلوم دفعه إلى أن يتوسّع في دراساته فدرس الرياضيات والفلك والفلسفة والأخلاق والعرفان على يد كبار المتخصصّين في الحوزة أمثال أبي الحسن الرفيعي القزويني وجواد الملكي التبريزي، ومحمد علي الشاه آبادي.

بلغ درجة الاجتهاد وتولّى تدريس الخارج (أعلى مستويات التدريس في الحوزة) واشتهر درسه بالجدّ، وكان يحضر حلقته من فيه روح المثابرة والجدّ والاجتهاد. حتى شاع خبر درس آقا روح الله (وهو الاسم الذي عُرف به في البداية) في كل أنحاء إيران وأقبل عليه المثابرون، ثم أصبح أستاذًا بارزًا في الحوزة العلمية وعُرف باسم آية الله الخميني (آية الله لقب لكبار المجتهدين)، ثم

بعد أن تصدى لقيادة الثورة عُرف باسم «الإمام الخميني».

وكان إلى جانب تدريس الفقه وأصول الفقه يعقد للطلاب جلسة في الأخلاق يؤكد فيه على ضرورة التزكية قبل التعليم.

اشتهر - إضافة إلى تدريسه الجاد - بالتغلّب على ذاتيته، فكان يرفض بشدّة ما يلهث وراءه كثيرون من شهرة ومكانة وزعامة ومرجعيّة، مفضلاً أن يعيش ببساطة مع طلابه، يربّيهم علميًا وأخلاقيًا. وفي ديوان شعره الذي أنشده في مراحل مختلفة من حياته يظهر ميله الشديد إلى التخلّص من كل انشداد دنيوي والنزوع إلى مثل أعلى مطلق.

وحين نفي إلى النجف بالعراق واصل عمله العلمي فدرّس فيها مدّة ١٤ عامًا، وتصدّى في دروس الفقه - لأول مرة في تاريخ دراسات الحوزة - إلى أصول الحكومة الإسلامية وبلور فيها نظرية «ولاية الفقيه» التي قامت على أساسها الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيما بعد. وعُرفت دروس آية الله الخميني في النجف الأشرف بكثرة الطلاب والجدّ في البحث والمناقشة.

لم يكن آية الله الخميني متفرّغًا للتأليف، بل كان يكتب ما يراه ضروريًا في دراساته وتدريسه ودعوته إلى الله وتوجيه الناس في أمور الشريعة، وما تجيده قريحته من شعر عرفاني، ومن أشهر كتبه: *شرح دعاء السحر* (في العرفان)، *الحاشية على شرح فصوص الحكم* (وهي حاشية على شرح القيصري لفصوص الحكم لابن عربي)، و*شرح الأربعين حديثًا* (في الأخلاق) و*سرّ الصلاة*، و*آداب*

الصلاة، و*كشف الأسرار*، و*المكاسب المحرّمة* (في مجلدين)، و*تحرير الوسيلة* (كتاب فتاوى السيد الخميني في مجلدين)، و*الجهاد الأكبر*، و*ديوان شعر*.. وغيرها من الكتب والرسائل التي نشر منها حتى الآن ٤٥ كتابًا ورسالة.

مشروعه الإصلاحي:

يتلخّص المشروع الإصلاحي لآية الله الخميني في المحافظة على الانتماء الإسلامي لإيران وإبقائها في دائرة الحضارة الإسلامية، معتقدًا أن الذي تعرّضت له إيران منذ بداية توغّل النفوذ الغربي يستهدف فصل هذا البلد عن انتمائه الإسلامي، وربطه قوميًا وتاريخيًا وثقافيًا بما قبل الإسلام، وسياسيًا بمصالح القوى المسيطرة.

اتجه تفكيره أولاً إلى تقوية المؤسسة الدينية المسماة «الحوزة العلمية» لأنها تمثّل القاعدة التي يستند إليها الانتماء الحضاري الإسلامي في إيران، ثم دفع هذه القاعدة نحو تبنّي قضايا الجماهير والتصدّي لمشاريع المستعمرين، ثم بعد ذلك قيادة الجماهير نحو إسقاط النظام القائم وإقامة نظام يعيد إيران سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا إلى دائرة الحضارة الإسلامية. وممارسته العملية لتنفيذ المشروع اتسمت بالحكمة والأصالة والانفتاح والواقعية والرؤية العرفانية.

فالحكمة اقتضت أن لا يعلن آية الله الخميني أمرًا ولا يرفع شعارًا إلا حينما تتوفر الظروف المناسبة، ولذلك فإنّه كان يستشعر منذ نعومة أظفاره بضرورة تغيير النظام الحاكم،

ولكنّه لم يعلن ذلك خلال السنوات المتمادية من حياة الدارسة والتدريس، بل كان يغلي صدره بهذا الأمر - كما يتضح من الكتابات والمذكرات التي نشرت له فيما بعد - دون أن يبوح به، حتى إذا توفّرت الظروف المناسبة له في بداية الستينات، أعلن عن نهضته المعروفة.

والأصالة تمثلت في مشروعه بالالتزام الصارم بنصوص التراث الإسلامي من قرآن وسنّة وسيرة وآراء الفقهاء الكبار دون أن يحيد عن ذلك بحجّة ضرورات العصر.

والانفتاح مشهود في مشروعه بالاستفادة من كل التجارب البشرية الناجحة في حقل إدارة المجتمع والدولة والعلاقات الدولية، وفي استيعاب التيارات الفكرية والعلمية في الساحة الداخلية والعالمية المعاصرة.

والواقعيّة تجسّدت في تعامله مع العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع الإيراني بإيجابية، واستثمارها على طريق تحقيق مشروعه، وفي تفهّم المزيج التاريخي الثقافي الحضاري لشعبه بدقّة، والانطلاق منه إلى تحقيق أهدافه.

والرؤية العرفانية تجلّت في مشروعه بعدم الاعتماد فقط على المعادلات والحسابات المادية والرقمية في الأوضاع القائمة، والأخذ بنظر الاعتبار قيمة الإمداد الغيبي في المواجهة بين الحق والباطل. وهذا ما جعله يتخذ مواقف صَعُبَ بدايةً على مَنْ حوله أن يفهمها، غير أن حكمتها اتّضحت فيما بعد.

مراحل تنفيذ المشروع

١. المحافظة على مكانة الحوزة العلمية:

فهذه الحوزة - بما تخرجه من العلماء والدعاة والكتاب والباحثين في حقول العلوم الإسلامية تشكل - في رأي آية الله الخميني - قاعدة الانتماء الإسلامي لإيران، ولذلك اتجهت جهود القوى الطامعة إلى تفتيت هذه الحوزة، وعزلها عن الجماهير، وسلبها مكانتها الاجتماعية والدينية. ومن الطبيعي أن تعتمد هذه القوى على عناصر داخلية، وكان أبرز هذه العناصر رضا شاه والد الشاه الأخير. والواقع أن خطة رضا شاه كانت واسعة تشمل تغيير الخط العربي وإزالة المفردات العربية من اللغة الفارسية وتغيير الزي للرجال والنساء، ومنع جميع المظاهر الدينية.. وبالتالي شد إيران بدائرة المصالح الغربية وإزالة كل الموانع من أمام هيمنة الغرب.

وثارت الحوزة العلمية بوجهه، لكنه مارس تجاهها أشدّ ألوان البطش، وأوشك أن ينهيها تمامًا، لولا أن حافظ على تماسكها رجل عالم عالم حكيم هو الشيخ عبدالكريم الحائري أستاذ الخميني، فقد رأى هذا الرجل أن حوزة مدينة قم تتعرّض لخطر فادح، فترك محل إقامته بمدينة أراك واتجه إلى قم لينقذ الموقف، وفي نفس الوقت أيضًا غادر تلميذه الخميني أراك نحو قم ليساهم في الحفاظ على وجود الحوزة، ونجحت عملية إنقاذ الحوزة من الانهيار، وبقي السيد الخميني يعمل على تنشيط الدراسات الجادة فيها، وعلى تربية طلاب مؤهلين لحمل أعباء المراحل التالية من المشروع.

وبوفاة الشيخ الحائري ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م فقدت الحوزة العلمية عمادها وعميدها، وتعرّضت لهزّة كبيرة، فتحرّك العلماء وتلاميذ الحائري وعلى رأسهم آية الله الخميني لترشيح وجه آخر لزعامة الحوزة، ووقع الاختيار على آية الله محمد حسين البروجردي، ونجحوا في ذلك، وأصبح المرجع البارز الذي حافظ على مسيرة الدراسات العلمية بعمق وحكمة وانفتاح. وتقدّم إليه الخميني باقتراح لإصلاح وضع الحوزة، وهذا الاقتراح - وإن لم يتحقّق - يدلّ على اهتمام الإمام بوضع هذا المعهد العلمي الديني.

وفي الأعوام التالية عصفت بإيران أحداث جسام منها تعرّض البلد إلى احتلال الحلفاء ١٣٥٩هـ/١٩٤١م، وتنازل رضاخان عن العرش وتتويج ابنه محمد رضا بضغط من القوى الأجنبية، ثم الحركة الوطنية وتأميم النفط، واضطرار محمد رضا بهلوي إلى الخروج من إيران وإعادته بانقلاب عسكري مدعوم من أمريكا، ثم سيطرة أمريكا على مقاليد الحكم في إيران وتغلغل الصهاينة تحت المظلّة الأمريكية في أجهزة الدولة الحساسة.

كان آية الله يراقب كل هذه الأوضاع بدقّة، لكنه كان يواصل عملية الإعداد للانتفاضة عن طريق صيانة الحركة العلمية والتربوية في الحوزة ونشر الوعي بين الصفوة.

٢- التحرك السياسي:

في سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م توفي السيد البروجردي، وتوفّرت للشاه فرصة كسر شوكة الحوزة، وفي السنة التالية صادقت الحكومة على لائحة المجالس المحلّية، وفيها بنود توفّر الفرصة

للبهائيين (حركة مرتبطة بإسرائيل وأمريكا وتتخذ من الخرافات الدينية عقيدة لها) أن يتوغلوا في المراكز الحساسة من النظام. وجد الإمام الخميني الفرصة سانحة لأن يُعلن موقفه الساخط، وبدأ صوته يرتفع بإدانة مثلث: «الشاه» و«إسرائيل» و«أمريكا» وفي سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م طرح الشاه لائحة الإصلاح الزراعي للاستفتاء الشعبي وأسماها «الثورة البيضاء»، وأسماها الإمام في بياناته بالثورة السوداء، معتقدًا أنها مشروع لتثبيت نظام الشاه تحت المظلة الأمريكية والإسرائيلية. وأمام موقف الإمام هذا ومعه جلّ العلماء والطلبة قرّر نظام الشاه سحق هذه المعارضة، فأمر بالهجوم على الحوزة، ودخل رجاله في أهم مدارسها المسماة «الفيضية» وقتل عددًا من الطلبة. وبعدها دخل الإمام في مواجهة حادّة مباشرة صريحة مع النظام، وأصدر البيانات وألقى الخطب المنددّة والمحرّضة، مركّزًا على علاقات الشاه بإسرائيل وأمريكا.

اعتقل نظام الشاه الإمام الخميني وشاع خبر الاعتقال بين الناس، فخرجت الجماهير سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣ في انتفاضة عارمة واجهت قمعًا سقط على إثره آلاف القتلى. أطلق الشاه سراح الإمام لتهدئة الموقف، لكن تلك الانتفاضة أنذرت ببداية حتميّة لسقوط نظام الشاه.

في سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م صادق نظام الشاه بضغط أمريكي على قانون «الحصانة السياسية والدبلوماسية للمواطنين الأمريكيين في إيران». مرة أخرى ثارت ثائرة الإمام، وأصدر

البيانات التي تفضح التدخّل الأمريكي والإسرائيلي في إيران. وعلى أثر ذلك أقدم نظام الشاه على نفي الإمام إلى تركيا، ظلّ فيها أحد عشر شهرًا، ثم نُفي إلى العراق وأقام في مدينة النجف الأشرف مدة ١٤ عامًا.

٣. الإعداد للثورة الشاملة:

أحداث إيران التي تلت نفي الإمام كانت في اتجاه تصفية كل معارضة وتثبيت سلطة الشاه بحماية أمريكية وإسرائيلية ومحاربة جميع ما يرمز إلى ارتباط إيران بدائرة الحضارة الإسلامية، وهي أحداث ألقت اليأس في نفوس كثير من دعاة الإصلاح، لكنّ الإمام الخميني كان يرى في هذه الأوضاع مؤشرًا لبدايات انفجار مرتقب، لذلك راح يعمل منذ سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥ على التنظير العلمي والفقهي للدولة البديلة لنظام الشاه ضمن بحوث «ولاية الفقيه»، وهي بحوث كان يلقيها على طلابه من العلماء والمجتهدين في النجف. وكان يعمل بجد ودأب على فضح مخطّطات أمريكا في إيران. ويلاحظ أن خطاب الإمام خلال هذه الفترة كان يقوم على تحذير الأمة من خطر مثلث: الشاه - أمريكا - إسرائيل.

كانت البيانات المكتوبة والمسجلة على أشرطة الكاسيت تصل من منفى الإمام لتنتشر في كلّ أرجاء إيران عن طريق طلبة الجامعات والحوزات العلمية، ورغم كل أساليب البطش التي مارسها الساواك (الاسم المختصر لمنظمة أمن الشاه) كانت المعارضة الشعبية تتصاعد في النفوس دونما جرأة على الظهور

العلني العام، وكانت هذه المعارضة تعرب عن نفسها في الخفاء عن طريق نشر بيانات التنديد وفي العلن أحيانًا عن طريق المظاهرات الطلابية الصغيرة، أو إلقاء الخطب المعارضة، مما جعل سجون الشاه ومنافيه تمتلئ بالمعارضين السياسيين.

في سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٦م وصل الديمقراطيون إلى البيت الأبيض الأمريكي، وكانت سياستهم تقوم على أساس منح شعوب البلدان التابعة لأمريكا شيئًا من الجو السياسي المفتوح كي يحولوا دون انفجار هذه الشعوب ضد أمريكا.

وبعد قراءة دقيقة للأوضاع الجديدة، وضع الإمام خطة تصعيد الثورة في إيران. واتفق أن توفي السيد مصطفى الخميني نجل الإمام الأكبر سنة ١٩٧٧ فكانت الشرارة التي أشعلت فتيل الثورة. مجالس التأبين التي عقدت في إيران للسيد مصطفى تحوّلت إلى تجمّعات ثائرة واجهت القمع والقتل، وتوالت مجالس التأبين للمقتولين، وسرت في كل المدن الإيرانية موجة عارمة من التحرك الشعبي المضاد لنظام الشاه، والإمام يوجّه بياناته مركزًا على :

١ـ الانضباط التام في التحرك والحذر من أي أعمال تخريبية.

٢ـ المواصلة واستغلال الفرصة المتاحة حتى تحقيق النصر النهائي .

٣ـ رفض الحلول الوسط والإصرار على إسقاط نظام الشاه.

٤ـاللجوء إلى كل السبل للضغط على نظام الشاه لإسقاطه ومن ذلك المسيرات والإضرابات.

٥ـ عدم التصدّي للجيش حتى ولو أطلق الرصاص على المتظاهرين.

واستجاب الشعب لنداءات الإمام، وتوالت عمليات الضغط الشعبي على نظام الشاه، وتحوّلت إيران بأجمعها إلى مسيرات وإضرابات.

في ١٣٩٨هـ/ أيلول ١٩٧٨ اضطر الإمام الخميني أن يترك منفاه في النجف، فغادر العراق إلى باريس، وأقام في ضاحية «نوفل لو شاتو» يواصل منها قيادة الثورة، رافضًا كل الوساطات التي حاولت إقناع الإمام بحلّ وسط للوضع القائم في إيران.

في ١٣٩٨هـ/ ١٦ كانون الأول ١٩٧٨ هرب الشاه من إيران مع أسرته، وفي مطلع شباط ١٩٧٩ عاد الإمام الخميني إلى طهران على ظهر طائرة خاصة من باريس واستقبل استقبالاً شعبيًا تاريخيًا. في ٥ شباط عين المهندس مهدي بازركان رئيسًا للحكومة المؤقتة، وبدأت معسكرات الجيش تعلن ولاءها للثورة، وفي ١١ شباط أعلن الإمام الخميني عن سقوط نظام الشاه وانتصار الثورة الإسلامية.

٤ـ إقامة الدولة:

بعد سقوط نظام الشاه واجهت الإمام الخميني ثلاث مسؤوليات جسام:

١ـ إقامة الدولة. ٢ـ إرساء قواعد المجتمع المدني. ٣ـ المحافظة على المكتسبات.

ففي حقل الدولة دفع الحكومة الموقتة ومجلس قيادة الثورة والجماهير إلى إجراء استفتاء لتعيين نوع النظام، فصوت ٢و٩٨ بالمائة من الشعب الإيراني لصالح نظام الجمهورية الإسلامية في ١٣٩٩هـ/الأول من نيسان ١٩٧٩م، ثم توالت الانتخابات: انتخاب

مجلس تدوين الدستور وإقراره، وانتخاب مجلس الشورى الإسلامي، وانتخاب رئيس الجمهورية، وبذلك وطّد بسرعة مذهلة أسس الدولة الحديثة التي تستمد منهجها من الشريعة الإسلامية.

وعلى الجانب الشعبي شجّع الإمام المساجد لتكون مركز النشاط الجماهيري لإدراة المجتمع. فتأسست فيها اللجان الثورية التي نهضت بأعباء أمنية وسياسية واقتصادية وثقافية، وتأسست مراكز «جهاد البناء» من الشباب المتخصّصين المتطوّعين لإعمار القرى والأرياف ومساعدة المناطق الفقيرة، وتأسّس الحزب الجمهوري لتعبئة الجماهير في مختلف مجالات متطلبات الثورة والدولة.

ولعلّ قيادة الإمام الخميني برزت أكثر ما برزت في صيانة مكتسبات الثورة. إذ تعرّضت إيران منذ الأيام الأولى لانتصارها إلى تآمر داخلي وإقليمي ودولي واسع النطاق تمثل في إثارة النزاعات القومية والطائفية وفي حصار اقتصادي وفي حرب استمرت ثماني سنوات، وفي عمليات إرهابية فجّرت المؤسسات واغتالت كبار الشخصيات القيادية، وفي مؤامرات عسكرية و.. كان كل واحد منها كاف للقضاء على النظام الفتيّ، لكن قيادة الإمام الخميني المنبثقة من إرادة الجماهير والمتفاعلة مع عواطف الشعب وفكره وعقيدته جعلت إيران تحافظ على تماسكها وتدافع عن سيادتها وتخرج من كل هذه الأزمات بنجاح.

وبقي يواصل قيادة الثورة والدولة باعتباره «الولي الفقيه» حتى ١٤٠٩هـ/ حزيران ١٩٨٩م إذ توفاه الله.

بمناسبة الذكرى السنوية لرحيله في ٤ حزيران ١٩٨٩م

بعض أفكار الإمام الخميني

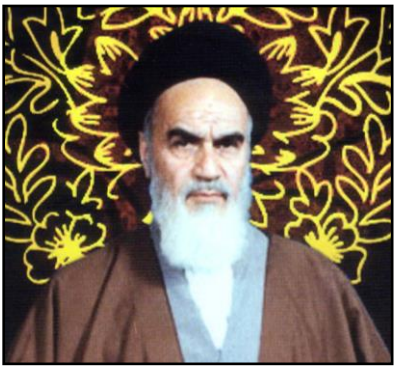

١ــ الاعتقاد بشمولية الإسلام واستيعابه لحياة الفرد والجماعة، لتوجيه البشرية نحو الكمال الإنساني المنشود.

٢ـ إيمانه بضرورة اتحاد كل الشعوب المقهورة في العالم (المستضعفين) لينالوا حقوقهم التي اغتصبتها القوى المقتدرة الظالمة (المستكبرون).

٣. تأكيده المستمر على ضرورة وحدة المسلمين ونبذ أي تفرقة طائفية أو قومية أو إقليمية بينهم، فتلك فريضة إلهية، وضرورة يفرضها عليهم واقع التكتلات الدولية والتحديات التي تواجههم وعلى رأسها التهديد الصهيوني.

٤ـ ضرورة إخلاص العمل لله وحده دون سواه على المستوى الفردي والاجتماعي، عندئذ لا يعتري المسيرة تزلزل ولا يشوبها خوف أو تراجع ولا تمنى بهزيمة قط.

٥ـ ضرورة اهتمام القيادة والمسؤولين بمصالح الناس وصيانتهم عزّة الأفراد، لأن هدف الأديان هو إنقاذ البشر من كل ما يهين كرامتهم.

٦ـ إيمانه بالمنهج العرفاني الجهادي الذي يؤكد على مراقبة النفس والتخلّص من الذاتيات والأنانيات ليتحوّل الإنسان إلى عطاء مستمر في ساحات هدم الباطل وإقامة معايير الحق والعدل.

٧ـ ضرورة دخول المرأة ساحة العمل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي مع المحافظة على أصالتها، والتأكيد على أهمية المرأة في نشأة المجتمع الصالح.

بعد عمر ناهز التسعين توفي الإمام الخميني، ولم يترك من الثروة والمال سوى: نظارات، وقراظة أظافر، ومشط، ومسبحة، ومصحف، وسجادة صلاة، وعمامة، وثيابه الخاصة، وبضع كتب في العلوم الدينية.. لا غير.

خطابه الوحدوي

الحديث عن دور الإمام الخميني (رض) في التقريب بين المذاهب الإسلامية وفي وحدة الصفّ الإسلامي يبقى قاصرًا أمام مشروعه الحضاري الكبير الذي قدّمه عمليًا للعالم الإسلامي متمثلاً بإقامة دولة إسلاميّة في بلاد أريد لها أن تكون قاعدة للتآمر على تطلعات الأمة الإسلامية نحو استعادة الهويّة والعزّة والكرامة. لا ينكر أحد أنّ الثورة الإسلامية في إيران اندلعت في

فترة من إحباط عاشها العالم الإسلامي بعد سلسلة من الهزائم والنكسات فبعثت فيه روحًا جديدة، وأحيت بانتصارها أمل الشعوب المسلمة المقهورة في عودة أصيلة ومعاصرة إلى الحياة الإسلامية.

هذا الإنجاز كان من الضخامة والعظمة بحيث تجاوز كل الحواجز الطائفية والقومية والإقليمية، بل إنه تجاوز حتى الإطار الإسلامي ليدفع بالشعوب المستضعفة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى التطلّع نحو استعادة حقوقهم المغتصبة.

لكن ضخامة الحدث واجهت ضخامة في عملية التطويق والمحاصرة والتشويه والتعتيم.

لقد واجهت حربًا طائفية جُنّدت لها أضخم الطاقات الإعلامية، وواجهت حربًا قوميّة باسم «القادسية»!! لصدّ «الفرس المجوس»!!.. ومع كل ذلك فإن خطاب الإمام الخميني وقيادته للأمة لم تتأثر أبدًا بهذه الحروب الظالمة، فقد وجّه أفكار الإيرانيين نحو حقيقة هامة هي إن هذه الحروب ليست طائفية ولا قومية، أي ليست حرب سنّة ضد شيعة، ولا حرب عرب ضد فرس، بل هي حرب تقودها أمريكا وإسرائيل لمواجهة الصحوة الإسلامية، ونجح في ذلك أيّما نجاح، مفوّتًا الفرصة على من أرادها أن تخلق العداء المذهبي والقومي في إيران تجاه أبناء الأمة الإسلامية.

وإذ نتحدث عن الإنجاز العظيم الذي نهض به الإمام الخميني بإقامة دولة الإسلام، لابدّ - ونحن في إطار التقريب - أن نذكر

بعض النصوص من دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية بشأن التوجه الوحدوي لهذه الدولة، وهو توجّه يعكس أهداف مؤسسها الراحل (رض).

المادة الثانية

يقوم نظام الجمهورية الإسلامية على أساس:

١ـ الإيمان بالله الواحد الأحد (لا إله إلا الله) وتفرّده بالحاكمية والتشريع، ولزوم التسليم لآمره.

٢ـ الإيمان بالوحي الإلهي ودوره الأساس في بيان القوانين.

٣ـ الإيمان بالمعاد ودوره الخلاق في مسيرة الإنسان التكاملية نحو الله.

٤ـ الإيمان بعدل الله في التكوين والتشريع.

٥ـ الإيمان بالإمامة والقيادة المستمرة، ودورها الأساس في استمرار الثورة التي أحدثها الإسلام.

٦ـ الإيمان بكرامة الإنسان وقيمته الرفيعة، وحريته الملازمة لمسؤوليته أمام الله.

وهو نظام يؤمّن القسط والعدالة، والاستقلال السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والتلاحم الوطني عن طريق مايلي:

أـ الاجتهاد المستمر من قبل الفقهاء جامعي الشرائط، على أساس الكتاب وسنة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

ب ـ الاستفادة من العلوم والفنون والتجارب المتقدمة لدى البشرية، والسعي نحو تقدمها.

ج ـ محو الظلم والقهر مطلقاً ورفض الخضوع لهما.

المادة الثالثة

من أجل الوصول إلى الأهداف المذكورة في المادة الثانية تلتزم حكومة جمهورية إيران الإسلامية أن توظف جميع إمكانيتها لتحقيق مايلي:

١ـ خلق المناخ المساعد لتنمية مكارم الأخلاق على أساس الإيمان والتقوى، ومكافحة كل مظاهر الفساد والإجرام.

٢ـ رفع مستوى الوعي العام في جميع المجالات، بالاستفادة السليمة من المطبوعات، ووسائل الإعلام، ونحو ذلك.

٣. توفير التربية والتعليم، والتربية البدنية، مجانًا للجميع، وفي مختلف المستويات، وكذلك تيسير التعليم العالي وتعميمه.

٤ـ تقوية روح التحقيق والبحث والإبداع في كافة المجالات العلمية والفنيةوالثقافية السليمة، والعلوم الإسلامية عن طريق تأسيس مراكز البحث وتشجيع الباحثين.

٥. طرد الاستعمار كلية ومقاومة النفوذ الأجنبي.

٦ـ محو أي صورة من صور الاستبداد والأنانية واحتكار السلطة.

٧. ضمان الحريات السياسية والاجتماعية في حدود القانون.

٨. إسهام عامة الناس في تقرير مصيرهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

٩. رفع التمييز غير العادل، وإتاحة تكافؤ الفرص للجميع في كل المجالات المادية والمعنوية.

١٠ـ إيجاد النظام الإداري السليم وإلغاء ما هو غير ضروري في هذا المجال.

١١ـ تقوية مستوى الدفاع الوطني بصورة كاملة، عن طريق التدريب العسكري لجميع الأفراد، من أجل حفظ الاستقلال وصيانة الوطن والحفاظ على النظام الإسلامي للبلاد.

١٢ـ بناء اقتصاد سليم وعادل وفق القواعد الإسلامية من أجل توفير الرفاهية، والقضاء على الفقر، وإزالة كل أنواع الحرمان في مجالات التغذية والمسكن والعمل والصحة، وجعل التأمين يشمل جميع الأفراد.

١٣ـ إيجاد الاكتفاء الذاتي في العلوم والفنون والصناعة والزراعة والشؤون العسكرية وأمثالها.

١٤ـ ضمان الحقوق للجميع نساء ورجالا وإيجاد الضمانات القضائية العادلة لهم، ومساواتهم أمام القانون.

١٥ـ توسيع وتحكيم الأخوة الإسلامية والتعاون الجماعي بين الناس كافة.

١٦ـ تنظيم السياسة الخارجية للبلاد على أساس المعايير الإسلامية والالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين، والحماية الكاملة لمستضعفي العالم.

المادة الحادية عشرة

بحكم الآية الكريمة ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا

رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ يعتبر المسلمون أمة واحدة، وعلى حكومة جمهورية إيران الإسلامية إقامة كل سياستها العامة على أساس تضامن الشعوب الإسلامية ووحدتها، وأن تواصل سعيها من أجل تحقيق الاتحاد السياسي والاقتصادي والثقافي في العالم الإسلامي.

المادة السادسة عشرة

بما أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية هي العربية، وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل، لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة المتوسطة في جميع الصفوف، والحقول الدراسية.

المادة الثانية والخمسون بعد المائة

تقوم السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية على أساس: الامتناع عن أي نوع من أنواع التسلط أو الخضوع له، والمحافظة على الاستقلال الكامل، ووحدة أراضي الوطن، والدفاع عن حقوق جميع المسلمين، وعدم التبعية للقوى المتسلطة، وتبادل العلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة.

المادة الرابعة والخمسون بعد المائة

تعتبر جمهورية إيران الإسلامية سعادة الإنسان في المجتمع البشري هدفًا رئيسًا لها، وتعتبر الاستقلال، والحرية، وإقامة حكومة الحق والعدل حقًا لجميع الناس في كافة أرجاء العالم،

وعليه فإن جمهورية إيران الإسلامية تقوم بحماية النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في أية نقطة من العالم، وفي الوقت نفسه لا تتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى.

مقتطفات من أحاديث الإمام الخميني بشأن وحدة الامة

لابدّ من اجتماع الحكّام

لماذا لا يلتزم المسلمون وحكوماتهم بالأحاديث النبوية الكريمة التي جاء فيها: «المسلمون يد واحدة على من سواهم» لماذا لا يوجد بينهم إلا الخلاف المستمر، إن مشكلة المسلمين هي نشوب الاختلافات بينهم بعد الحرب العالمية، فقد وضع المستعمرون خطة الاختلاف لهم بعد أن شاهدوا قوة الإسلام، ففصلوا الحكومات الإسلامية عن بعضها، وألقوا الخلاف بين المسلمين، وجعلوا الحكومات الإسلامية كل واحدة عدوة للأخرى. يجب حل هذه المشكلة في يوم العيد، وفي يوم عرفة في بيت الله حيث ينبغي أن يجتمع الحكام في مكة المعظمة تلبية لأمر الله تبارك وتعالى، وطرح المشاكل المتعلقة بهم والتغلّب عليها، وإذا تمّ هذا الأمر لا تتمكن أية قوة من مواجهتكم.

من حديثه بمناسبة عيد الاضحى المبارك ١٤٠٠ هجرية

كل المشاكل من اختلاف الحكام

ولتعلم الشعوب العربية وليعلم الإخوة اللبنانيون والفلسطينيون أن كل المساوئ والمصاعب هي من إسرائيل وأمريكا، وأن كل هذه البلايا ناتجة عن اختلافات الحكام في الأقطار الإسلامية. يجب أن يتحدوا وينطلقوا بقوة الإيمان لاجتثاث إسرائيل - منبع الفساد في المنطقة - من جذورها.

من حديثه بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة - ١٤٠٠ هجرية

الشعب الإيراني متضامن مع حكومته

إنني قلت مرارًا: إنه لمن الجدير أن تتخذ الدول الإسلامية من الحكومة الإيرانية السابقة ومن الدولة الحالية عبرة لها. فالشعب لم يكن يتعاون مع النظام السابق لحل المشاكل المستجدة، بل كان يزيدها تعقيدًا، وعلى الأقل يظل لامباليًا، أما اليوم وقد زال ظلم السلطة في ظل الدولة الإسلامية، فالجماهير هي التي تبادر إلى حل مشاكل الحكومة.

وكمثال على ذلك، حينما طرأت لنا مشكلة كردستان هبّ أبناء الشعب لازالة الفوضى هناك، ولكننا طلبنا منهم أن يتحلّوا بالصبر وأن يتريثوا لأننا كنا واثقين بأن قواتنا المسلحة قادرة على تجاوز هذه المشكلة. إننا واثقون بأنه لو حدثت أية مشكلة أخرى في المستقبل فإن الشعب سيهبّ لنجدتنا، والتضامن معنا.

من حديث الإمام للوفد الفلسطيني الذي قابله في ١٦ -٩-١٩٧٩

نرغب في تلاحم إسلامي واسع

إننا نرغب في أن تكون جميع الدول والأقطار الإسلامية وكافة بلاد المستضعفين في العالم واحدة، ويتمّ فيها فيها انتخاب رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية ومجلس الشورى وجميع المسؤولين من بين الجماهير، كي لا يصيب أحدًا مكروه.

من حديث الإمام لسفراء البلدان الإسلامية في عيد الفطر المبارك ١٤٠٠ هجرية

نريد زوال الخلافات بين الشعوب وحكوماتها

إننا نريد ـ انطلاقا من تعاليم الإسلام ـ أن يزول الخلاف بين الشعب والحكومة داخل الأقطار الإسلامية. وأن يتحد الجميع وأن تتحد الدول الإسلامية حتى لا يصيبها أي ضرر.

لقد رأيتم كيف اتحد شعبنا في إيران وتمكن أن يهزم قوة كبرى.

إننا نريد أن يتحد مليار مسلم في العالم، فإذا اتحدوا فلا تبقى قضية القدس ولا قضية أفغانستان ولا قضايا أخرى..

من حديث بنفس المناسبة السابقة

نريد أن يعيش الجميع قلبًا واحدًا

نحن نريد أن تعيش جميع الأقاليم الإسلامية في جوّ.. تسوده أحكام الإسلام ويرتبط الشعب فيها بحكومته بروابط الوئام،

ويعيش الجميع قلبًا واحدًا، وتصبح البلدان الإسلامية يدًا واحدة، كي لا تتعرض لضرّ..

لقد رأيتم كيف استطاع الشعب الإيراني أن يهزم أعتى قوة كبرى باتحاده.. ونحن نستهدف اتحاد مليار مسلم في العالم.. إذ لو اتحدوا لما بقيت قضية القدس ولا قضية أفغانستان، ولا القضايا الأخرى.

ولو كفّ وعاظ السلاطين عنا شرهم وكفّوا أيديهم عن التعرض لوحدتنا، فسننتصر إن شاء الله، وستنتصر القوى الإسلامية، والبلدان الإسلامية.

أسأل الله تعالى أن يعلي كلمة الإسلام والمسلمين، وأن يمنّ على هذه الأمة بوحدة الكلمة. أهنئكم ثانية وجميع المسلمين وجميع البلدان الإسلامية بهذا العيد السعيد..

من حديث الامام لسفراء البلدان الإسلامية، بمناسبة عيد الاضحى المبارك ١٤٠٠ هجرية

إحذروا مؤامرات الشيطان الأكبر

اليوم ونحن في رحاب تقارب جميع مسلمي العالم وتفاهم كل المذاهب الإسلامية لإنقاذ بلدانهم من براثن القوى الكبرى..

اليوم ونحن في رحاب انقطاع أيدي طغاة الشرق والغرب عن إيران بوحدة الكلمة والاتكال على الله تعالى، والتجمع تحت لواء الإسلام والتوحيد.

الشيطان الأكبر (أمريكا) دعا فراخه لإلقاء بذور التفرقة بين المسلمين بكل الحيل والوسائل وجرّ الأمة الإسلامية والإخوة في الإيمان إلى الاختلاف والعداء، ليفتح أمامه السبيل إلى مزيد من النهب والهيمنة.

الشيطان الأكبر، المذعور من صدور الثورة الإسلامية في إيران إلى سائر البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، وانقطاع يده الخبيثة عن جميع البلدان الخاضعة لسيطرته، لم يكتف بحصاره الاقتصادي وغزوه العسكري، بل توسل بحيلة أخرى، لتشويه ثورتنا الإسلامية أمام مسلمي العالم، ولإثارة التناحر بين المسلمين، كي يتسنّى له الاستمرار في ظلم العالم الإسلامي ونهبه.

لقد أمر واحدًا من أخبث العملاء الأمريكيين وصديق الشاه المقبور أن يجمع رجال إفتاء أهل السنة وفقهائهم ليفتوا بكفر الإيرانيين الأعزاء، وفي ذات الوقت الذي تتصاعد فيه مساعي إيران الدائبة لتوحيد الكلمة، ورصّ الصفوف تحت لواء الإسلام والتوحيد بين جميع مسلمي العالم.

من نداء الإمام حجّاج بيت الله الحرام ـ ٢.١١ـ ١٤٠٠ هجرية

الأمة المتفرقة لا تنتصر

حين تتفرق أمة إلى طائفتين وعشر طوائف ومائة طائفة يعارض بعضها الآخر وتحكم فيها حكومة ليست منهم فلا تتوقع مثل

هذه الأمة النصر.. لابد من العودة إلى تعاليم الإسلام التي أكدت على أن المؤمنين إخوة وأمرت بالاعتصام بحبل الله، وبعدم التفرق وترك التنازع.

ولو استجاب المسلمون لهذه الدعوة الإلهية لتخلّصوا من القوى الكبرى ومن الحكومات الفاسدة.

لا يمكن أن يكون لنا حول أو قوة إلا إذا فكرنا تفكيرًا إسلاميًا وعملنا بالقرآن والإسلام، وانتهجنا تعاليم صدر الإسلام..

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لأن نذهب معًا إلى القدس حيث نؤدّي جميعًا صلاة الوحدة.

من حديثه إلى المشاركين في مؤتمر القدس ٢٧ رمضان ١٤٤٠هجرية

حب الوطن غير النعرة القومية

من المسائل التي خطط لها المستعمرون وعمل على تنفيذها المأجورون لإثارة الخلافات بين المسلمين.. المسألة القومية التي جنّدت حكومة العراق نفسها منذ سنين لترويجها.

بعض الفئات انتهجت هذا (الخط القومي) أيضا، فجعلت المسلمين مقابل بعضهم، بل وجرتهم إلى المعاداة أيضا غافلة أن موضوع حب الوطن وأهل الوطن وصيانة حدوده وثغوره لا يقبل الشك والترديد، وهو غير مسألة إثارة النعرات القومية لمعاداة الشعوب الإسلامية الأخرى. فهذه المسألة عارضها الإسلام والقرآن الكريم والنبي الأعظم.

النعرات القومية التي تثير العداء بين المسلمين والشقاق بين صفوف المؤمنين تعارض الإسلام وتهدد مصالح المسلمين، وهي من مكائد الأجانب الذين يزعجهم الإسلام وانتشاره.

من بيان الإمام الراحل إلى حجاج بيت الله الحرام ٢-١١-١٤٠٠هجرية

مؤامرة أعداء الأمة الإسلامية

القوى الكبرى تستهدف فرض السيطرة على المسلمين ونهب أموالهم وثرواتهم الطائلة. وبث التعصب القومي في المنطقة أحد المخططات التي تنفذها تلك القوى منذ أمد بعيد لتحقيق أهدافها.

لقد جاء الإسلام ليوحد بين صفوف أبناء العالم، ويزيل الفواصل بين العرب والعجم والأتراك والفرس، وليؤلف بين قلوب أبناء الامة الإسلامية على ظهر المعمورة، وليهزم كل قوى الاستكبار ويحبط مخططاتها... القوى الكبرى تريد فصل المسلمين عن بعضهم باسم القوميات التركية والعربية والفارسية، بل وتريد خلق العداء بين هذه الشعوب..

إن جميع المسلمين أخوة متساوون متعاضدون، وعليهم الانضواء جميعًا تحت لواء الإسلام وراية التوحيد.

هؤلاء الذين يفرقون بين المسلمين تحت شعارات القومية والوطنية وأمثالها، إنما هم أعوان الشيطان وعملاء القوى الكبرى، وأعداء القرآن الكريم.

شكرًا لله وله الحمد، فقد فضح سبحانه وتعالى حزب البعث

العراقي العميل، وعرّاه على حقيقته أمام العرب جميعًا، وقد سقطت جميع الأقنعة عن وجه هذا الحزب حين واجه مقاومة العرب وصمودهم في خوزستان أكثر من غيرهم.

من حديث الإمام الراحل لعشائر خوزستان ١٨ صفر ـ ١٤٠١ هجرية

محور الإسلام هو الإنسان

إن العنصرية لامكان لها في الإسلام، ولا مكان للتمييز بين العربي والعجمي وسائر الفئات، إن الإسلام جاء لتربية الإنسان، وبرامج الإسلام تتركز على الإنسان والتربية الإنسانية، وتتركز على التقوى والأخوة والوداد بين المسلمين وإزالة الخلافات بينهم.

من حديث الراحل لوزير خارجية سوريا ٢٢ رمضان ١٣٩٩ هجرية

قضية عروبة أم قضية عمالة؟

إن ما تتطلع إليه الجمهورية الإسلامية هو تطبيق ماجاء في القرآن الكريم وعلى لسان الرسول الأعظم محمد(ص)... وما نريد أن نقوله للشعوب هو: إن الإسلام دين الوحدة والتآخي والمساواة، ولا فضل لفئة على فئة أخرى إلا بالتقوى والعمل بأحكام الإسلام ونصوصه.

حزب البعث العراقي ـ بزعامة عفلق وهو رجل غير مسلم ـ أثبت بأن قضيته ليست قضية عروبة ولا قضية الشعب العربي بل قضية التبعية للقوى الكبرى وإخضاع الشعوب للركوع أمام هذه القوى.

من حديثه لعشائر خوزستان ١٨ صفر ١٤٠١ هجرية

النعرات القومية في إيران والعالم الإسلامي من دسائس المستعمرين

إن القوى الكبرى درست خلال سنوات طويلة كل أوضاع المسلمين.. أجرت دراسات على الأفراد والجماعات وعلى أراضينا وغاباتنا وخرجت بنتيجة هي: إن الإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يقف بوجه هذه القوى في جميع المجتمعات.. وراحت هذه القوى تخطط لمجابهة الإسلام عن طريق الحكومات الفاسدة، وأوعزت إلى هذه الحكومات أن تثير مسائل العصبيات العنصرية بين المسلمين، فجعلت العرب مقابل الفرس والأتراك، وجعلت الفرس مقابل الأتراك والعرب، وجعلت الأتراك مقابل الآخرين.. وهكذا أوقعت بين القوميات المختلفة.

ولقد أكدت مرارًا أن هذه النعرات القومية هي أساس مصيبة المسلمين، إذ إن هذه النعرات تجعل الشعب الإيراني مقابل سائر الشعوب المسلمة، وتجعل الشعب العراقي مقابل بقية المسلمين. وهذه المخططات طرحها المستكبرون للتفريق بين المسلمين.

الحكومة السابقة في العراق ـ وهذه الموجودة ليست بأفضل من سابقتها طبعًا ـ طرحت مسألة إحياء أمجاد بني أمية، ليجعلوا منها مسألة مقابل المسألة الإسلامية.

فالإسلام جاء ليذيب الأمجاد في مجد الله، ولكن هؤلاء رفعوا شعار إحياء أمجاد بني أمية، وليس طرح هذه المسألة من تدبير تلك الحكومة، بل من تدبير القوى الكبرى التي تروم التفريق بين المسلمين..

وفي إيران، قرع بعض المغرضين والغافلين على طبل القومية. وأرادوا بذلك أن يواجهوا الإسلام .. وقبل سنين - وأظن في زمن رضاخان - تأسس (في إيران) مجمع أعدّ الأفلام والقصائد والمقالات التي تندب الأمجاد الإيرانية!! وتأسف على انتصار العرب على إيران، وتذرف دموع التماسيح على ضياع طاق كسرى..

وهؤلاء القوميون الخبثاء بكوا كثيرًا على اندحار السلاطين الفرس على يد الإسلام!

ومثل هذه الروح المعارضة للقرآن أوجدها المستعمرون في البلاد العربية وغير العربية...

من حديث الإمام الراحل لأعضاء مؤتمر القدس ٢٧ رمضان - ١٤٠٠ هجرية

عنصرية صدام والشاه نحو هدف واحد

صدام جعل العروبة أساسًا للتفاضل، وهذه العروبة التي يدعيها عفلق وصدام مخالفة للموازين الإسلامية، ومعارضة لضرورات الإسلام.

إنها ادعاءات خبيثة يروّجها الاستعمار الذي يريد أن يفرّق بين الأمم، ويريد أن يفصل العربي عن غير العربي، ويضع العربي في جبهة وغير العربي في جبهة أخرى، إن هؤلاء يحملون نوايا خبيثة، ومثل هذه النوايا كان يحملها محمد رضا بهلوي للتفريق بين المسلمين.

هؤلاء مسخرون لتنفيذ أهداف الأجانب الذين يسعون لتمزيق

المسلمين. فعلى المسلمين أن يكونوا يدًا واحدة على من سواهم ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

من حديث الإمام الراحل للضباط الباكستانيين العائدين من حج بيت الله الحرام محرم ١٤٠١هجرية

يقتل العرب باسم العروبة

مع الأسف هناك أيد أجنبية ظالمة تريد أن لا تستقر هذه الحكومة الإسلامية وأن لا تكون الحكومة بيد الشعب في سائر الدول الإسلامية. إن هذا الشخص (صدام) الذي قام بكل هذا الظلم والجور في العراق وقام بالاعتداء على إيران كان يبغي من وراء ذلك كسب ودّ الدول الكبرى، إنه هاجم المناطق التي يسكنها الإيرانيون العرب، وقام ـ وهو جرثومة فساد ـ باسم العروبة بمهاجة الإسلام، وعامَلَ الشعب العربي والإيراني كما عامل محمد رضا الشعب الإيراني، إن صدام قام بقتل العرب وتشريدهم وذبح نسائهم وأطفالهم في المناطق التي يسكنها العرب وسائر المناطق وذلك باسم العروبة كما يدّعي، وإنه في الواقع قام بذلك من أجل الشيطان الأكبر وأشقاء الشيطان الأكبر إذ تضاعفت المقابر في إيران إثر هذه المجازر..

من كلمة الامام الراحل بمناسبة الذكرى الاولى لاستشهاد الإمام محمد باقر الصدر

مؤامرة وعاظ السلاطين

إضافة لما نعانيه من أمريكا ومن الاتحاد السوفياتي، فإننا نعاني أيضا من بعض أدعياء الإسلام ومنهم كبار رجال الدين في بعض البلدان الإسلامية، هؤلاء يحرفون كلامنا، ثم يصدرون أحكام التكفير بحقنا.

لو كان الأمر قد اشتبه على هؤلاء فأولى لهم أن يدرسوا المسألة جيدًا، وأن يعلموا: ماذا يقولون، ولمصلحة من يعملون.

لو كانت مواقف هؤلاء ملتزمة من بلد إسلامي يسعى إلى تقوية الأواصر بين جميع الإخوة المسلمين وإحلال الوئام بينهم، لما عمد بعضهم إلى تكفير بعض.

ونحن سعينا منذ عشرين عامًا إلى أن تتآخى البلدان الإسلامية.

هؤلاء الذين يبثون مثل هذه السموم ويتلبسون - مع الأسف - بلباس الإفتاء إنما يعملون ضد الإسلام ووفقًا لهوى القوى الكبرى ولخدمتها، عامدين أم جاهلين.

من حديث الإمام الراحل بمناسبة عيد الفطر المبارك ١٤٠ هجرية

ألا يعلم هؤلاء المفرقون: أن مسألة المهدي إسلامية؟

لماذا لم يقف هؤلاء موقفًا متصلبًا كهذا من السادات، وما يقوم به السادات من جرائم؟ ولماذا لم يصدروا أحكام تكفيرهم بحقه؟

ونحن حين نتحدث عن الإمام المهدي باعتباره قوة تنفيذية للإسلام، ونقول: إنه سيملأ الارض قسطًا وعدلاً بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا، وهذا ما ورد عن النبي بطرقهم أيضا، ونقول:

إن الانبياء لم يتسنَّ لهم تحقيق أهدافهم التي سعوا من أجلها. وسيبعث الله في الأرض في آخر الزمان رجلاً يحقق أهداف الأنبياء.. حين نقول هذا، يعمد هؤلاء المساكين خدمة للأجانب أو جهلاً، إلى تأويل هذه الأقوال، والنسبة إلى بأنني قلت أن المهدي سيكمل الشريعة!! وهذا ما يؤلمنا جدًا.

إننا نعتبر المهدي من أتباع الإسلام ومن أتباع نبي الإسلام، لكنه أيضا قرّة عين الرسول والمطبّق لما جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

لماذا يعمد هؤلاء في الحجاز والكويت وبعض البلدان الأخرى، إلى تحريف الكلام وإلى العمل ضد بلد إسلامي (إيران) يعمل على جمع شمل الإخوة وتقليم أظافر القوى الكبرى في العالم الإسلامي؟ هؤلاء يُسدون عالمين أم جاهلين، خدمة للقوى الكبرى، ويفرقون بين المسلمين.

ألا يعلم هؤلاء أن إلقاء التفرقة بين المسلمين يعارض نصّ القرآن؟

أجاهلون هؤلاء، أم ـ لا سمح الله ـ للقوى الكبرى عملاء؟

من حديثه في نفس المناسبة السابقة

السيد نصر الله : إننا بين يدي إمام عظيم في القيادة والتقوى والفقه والاجتهاد

حديثه في مؤتمر «التجديد والاجتهاد الفكري عند الإمام الخامنئي» ببيروت

• الإمام الخامنئي يقارب كل الأحداث والتطورات والموضوعات بوضوح وعمق • إننا نرى أنفسنا أمام شخصية عظيمة واستثنائية • إن الإمام الخامنئي كان يتحدث دائمًا عن مبدأ انتصار المقاومة • الإمام الخامنئي يعتقد أن إسرائيل إلى زوال قريبًا • الإدارة الأمريكية تهدف إلى مصادرة الثورات العربية.

قال سماحة السيد حسن نصرالله أمين عام حزب الله خلال افتتاح المؤتمر الفكري حول الإمام الخامنئي: «يشرفني أن أفتتح مؤتمركم هذا والذي أعتبره خطوة نوعية وتأسيسية في مجاله، إذ لعلها المرة الأولى التي ينعقد فيها مؤتمر فكري علمي خارج إيران يتناول فكر وشخصية سماحة الإمام السيد الخامنئي (دام ظله) من عدة أبعاد، كما أنني في البداية أتوجه بالشكر الجزيل لجميع القائمين والمقيمين لهذا المؤتمر والمؤسسين له والمنظمين، وإلى جميع الحاضرين والمشاركين في جلستنا هذه وفي جلسات

المناقشة، وأخص بالشكر منهم من شرفونا من خارج لبنان وتحملوا عناء السفر».

وأضاف: «إن معرفتي الشخصية والمباشرة عن قرب بسماحة الإمام الخامنئي تعود إلى العام ١٩٨٦ حيث أتاحت لي اللقاءات الكثيرة أن أتعرف إلى الكثير من أفكاره وآرائه ومبانيه وطريقة تفكيره وطريقة تحليله للأحداث، وعلى منهجه في القيادة والإدارة واتخاذ القرار، فضلاً عن المواصفات الأخلاقية الرائعة التي يتحلى بها».

وأردف بالقول: «من معرفتي وبعد متابعتي وبعد الاطلاع على الكثير من الشهادات نستطيع القول إننا بين يدي إمام عظيم في القيادة والتقوى والفقه والاجتهاد.. إننا بين يدي إمام يملك رؤية شاملة وعميقة ومتينة قائمة على الأسس التالية: أولاً المباني الفكرية. ثانيًا معرفة الحاجات والمشاكل. ثالثًا معرفة الإمكانات المتاحة. رابعًا معرفة الحلول المناسبة والمنسجمة مع الأصول والأسس. ولذلك نجده يقارب كل الأحداث والتطورات والموضوعات بوضوح وعمق انطلاقًا من هذه الرؤية الشاملة، ومع كل الشرائح التي يلتقيها وعلى اختلاف تخصصاتها، ستجد أنك أمام قائد يحيط بالموضوع إحاطة عارف حتى بالتفاصيل ويتحدث فيه كصاحب اختصاص ويقدم فيه كل جديد».

واعتبر سماحته: «إننا نجد أنفسنا أمام شخصية عظيمة واستثنائية من هذا النوع ونرى أن الكثيرين في هذه الأمة لا يعرفون عنها إلا القليل ندرك كم هو مظلوم هذا القائد في أمته

وحتى في إيران وحتى في البعد الأبرز والأوضح في شخصيته وهو البعد القيادي والسياسي. ولأنك أمام شخصية يحاصرها الأعداء ولا يؤدي حقها الأصدقاء بكل ما للكلمة من معنى، فمسؤوليتنا أن نُعرِّف الأمة على هذا الإمام العظيم لتستفيد من بركات وجود هكذا قائد وفقيه ومفكر لخير حاضرها ومستقبلها ودنياها وآخرتها، وهي التي تواجه من التحديات ما لم تواجهه أمتنا خلال كل العقود والقرون السابقة، وهذه هي مهمة هذا المؤتمر البالغة الأهمية والحساسية».

وتابع سماحته: «خلال مؤتمر مدريد ١٩٩١، في تلك المرحلة و نتيجة أن هناك معادلات دولية تبدلت وتغيرات كبيرة حصلت في العالم والمنطقة والإدارة الأميركية أعلنت تصميمها على إنجاز تسوية، اعتقد الكثيرون وساد شبه إجماع على أننا أصبحنا على مشارف تسوية وأن الأميركيين سيفرضون ذلك. وفي ذلك الوقت كان للإمام الخامنئي رأي خارج هذا الإجماع، وقال حينها إن هذا المؤتمر لن يصل إلى نتيجة وإن هذه التسوية لن تنجز وإن أميركا لن تستطيع أن تفرض ذلك. واليوم وبعد مضي ما يقارب العشرين سنة نستمع إلى أطراف مشاركة في المفاوضات وبعض الشخصيات التي كانت في مؤتمر مدريد واستمرت في التفاوض عندما تتحدث عن عقدين من الخيبة

والإحباط والتيه والضياع الذي أدت إليه ما يسمى بالمفاوضات».

وأضاف: «في العام ١٩٩٦ الكل يذكر التطور أو الاختراق الكبير الذي حصل في المفاوضات الإسرائيلية السورية وما قيل عن وديعة رابين واستعداد إسحاق رابين للانسحاب إلى خط الرابع من حزيران ١٩٦٧ أي من الجولان وصولاً إلى خط الرابع من حزيران، وسادت حالة في منطقتنا حيث بدا الكل يقول هناك تسوية ستنجز والشرط الأساسي لإنجاز التسوية هو اقرار إسرائيلي إلى حدود ٤ حزيران وإن الأمور أصبحت في نهايتها وإن الأمور تحتاج إلى بعض التفاصيل. وجاء من يقول لنا لا تتعبوا أنفسكم خصوصًا أن المقاومة كانت في خط بياني تصاعدي. وكانوا يقولون لنا الأمور انتهت ولا داعي لأن تقدموا تضحيات، بل هناك من دعانا لأن نبدأ بترتيب أمورنا على قاعدة أن التسوية قد أنجزت، ودعانا لنعيد النظر حتى ليس فقط بماهيتنا كحركة مقاومة بل باسمنا وهيكلياتنا وبرنامجنا السياسي، وكان أي خطأ في التقدير سيكون له تداعيات، خطيرة وما أنجز بعد العام ١٩٩٦ ما كان لينجز، لكن يومها قال الإمام الخامنئي بوضوح أنا لا أعتقد أن هذا الأمر سيتم، ولا أعتقد أن هذه التسوية بين إسرائيل وسوريا وبالتالي مع لبنان ستنجز، وأنا أقترح عليكم أن تواصل المقاومة عملها وجهادها بل تصعّد في عملها وجهادها لكي تحقق أنجاز الانتصار، ولا تعيروا آذانكم وعقولكم لكل هذه الفرضيات والاحتمالات والدعوات. وبعد

عودتنا كان رابين يخطب وتقدم متطرف صهيوني وأطلق النار عليه فقتل وقام مقامه شيمون بيريز».

وتابع سماحته: «في ظرف كانت حركتا حماس والجهاد بشكل خاص قد تعرضتا لضربات قاسية جدًا حتى ظن البعض أن لا حول ولا قول ولا قوة للمقاومة الفلسطينية على تنفيذ عمليات، فكانت العمليات الاستشهادية في القدس وتل ابيب التي هزت الكيان الصهوني، ثم جاء التوتر مع الجنوب اللبناني وانعقدت قمة في شرم الشيخ جمعت قادة العالم للدفاع عن إسرائيل ولإدانة ما سمي بالإرهاب، وحدد بالاسم حماس والجهاد وحزب الله، ووجهت تهديدات وصدرت قرارات بمحاصرة هذه الحركات الإرهابية، ثم كانت معركة عناقيد الغضب في نيسان ٩٦ التي جاء بعدها نتانياهو وعادوا إلى المربع الأول».

واعتبر سماحته أن: «الإمام الخامنئي كان يتحدث عن مبدأ انتصار المقاومة وكان دائمًا يقول إنه مؤمن بذلك انطلاقًا من إيمانه العقائدي، وبعد عام ١٩٩٦ كان يقول إن الإسرائيلي في وضع كالعالق بالوحل، فلا هو قادر على التدقم واجتياح لبنان من جديد ولا هو قادر على الانسحاب ولا هو قادر على البقاء في مكانه، وعلينا أن ننتظر ماذا سيفعل، ولكن الأمر مرهون بعمل المقاومة، في أواخر العام ١٩٩٩ حصلت انتخابات رئاسة الحكومة في إسرائيل بين نتانياهو وباراك، والأخير حدد أنه سينسحب من لبنان في تموز، والجو في سوريا ولبنان كان أنه سنصل ألى هذا

الموعد ولن ينسحب، وباراك سعى للحصول على ضمانات وترتيبات أمنية مع الحكومة اللبنانية أو مع الرئيس حافظ الأسد وفشل، والمناخ السائد أنه لن ينسحب، ومن السهل على باراك عندما يحين الموعد أن يقول سعيت للحصول على ضمانات ولكن فشلت ولم أستطع الانسحاب. ونحن على مستوى المقاومة كنا نتبنّى وجهة النظر هذه، وأيضا كان لنا لقاء مع الإمام الخامنئي وشرحنا وجهة نظرنا، ولكن كان له رأي آخر، وقال إن انتصاركم في لبنان قرب جدًا جدًا، وهو أقرب مما تتوقعون، وهذا كان خلاف كل التحليلات والمعلومات، بل حتى في المعلومات لم يكن هناك تحضيرات إسرائيلية للانسحاب. وقال للإخوة حضّروا أنفسكم لهذا الإنجاز، ماذا سيكون موقفكم وخطابكم السياسي بعد الانسحاب. لذلك لم نفاجأ بالانسحاب وكنا قد حضّرنا أنفسنا جيدًا».

وأضاف سماحته: «في حرب تموز والتي كانت حربًا عالمية على مستوى القرار، وعربية على مستوى الدعم وإسرائيلية على مستوى التنفيذ، وكان العنوان سحق المقاومة في لبنان. وقد شهدتم جميعًا قساوة وعنف الهجمة الإسرائيلية حيث كان الحديث عن أي انتصار بل الحديث عن النجاة والخروج بستر وعافية هو أقرب إلى الجنون، لأنك في حركة مقاومة معروفة الإمكانيات وفي بلد صغير، ويتآمر عليها العالم كله وتشن عليها حرب بهذه الضراوة والقساوة، وصلتني رسالة شفهية حملها أحد

الأصدقاء إليّ إلى الضاحية الجنوبية وكانت الأبنية تتهاوى بالقصف الإسرائيلي، رسالة شفهية من عدة صفحات لكن سأقتصر على بعض الجمل. قال الإمام الخامنئي في تلك الرسالة يا إخواني هذه الحرب هي أشبه بحرب الخندق حرب الأحزاب عندما جمعت قريش ويهود المدينة والعشائر والقبائل كل قواها وحاصرت رسول الله (ص) واتخذت القرار باستئصال وجود هذه الجماعة المؤمنة، هذه حرب مشابهة لتلك وستبلغ القلوب الحناجر، ولكن توكلوا على الله أنا أقول لكم أنتم منتصرون حتمًا، بل أكثر من ذلك أقول لكم عندما تنتهي هذه الحرب بانتصاركم ستصبحون قوة لا تقف في وجهها قوة. من كان يمكن أن يتوقع أو يصل لاستنتاج من هذا النوع وخصوصًا في الأيام الأولى للحرب»؟

وتابع: «بعد أحداث ١١ أيلول كيف اهتزّت العقود والقلوب والأنفس وأعتقد كثيرون أنّ منطقتنا قد دخلت في العصر الأميركي وفي ظل هيمنة وسيطرة أميركية مباشرة وأن هذه السيطرة الأميركية سوف تبقى في منطقتنا لمائة عام أو مائتي عام. والبعض خرج ليشبّه الحرب الأميركية الجديدة بالحروب الصليبية ويقيس احتلالها بتلك المرحلة. وأنا كنت في زيارة لإيران وتشرفت بلقاء الإمام الخامنئي وسألته عن رأيه، وقال لي خلاف كل ما كان شائعًا في المنطقة، ويومها كانت الكثير من الحكومات والقوى السياسية تتداول كيف تتدبر أمورها في المنطقة، وحتى بعض المسؤولين في إيران كانوا يأتون إليه ويقولون

إن هذه هي الوقائع الجديدة وعلينا البحث عن تسوية مع أميركا، وكان يرفض انطلاقًا من رؤية إستراتيجية للمنطقة وقال لي: لا تقلقوا.. الولايات المتحدة الأميركية وصلت إلى الذروة إلى القمة وهذه بداية الانحدار، عندما يأتون إلى أفغانستان والعراق فإنهم ينحدرون إلى الهاوية.. هذه بداية نهاية أميركا ومشروعها في منطقتنا، ويجب أن تتصرفوا على هذا الأساس، وهذا الكلام مبني على معطيات. وقال عندما يعجز المشروع الأميركي عن حماية مصالحها من خلال الأنظمة في المنطقة ومن خلال الجيوش والأساطيل في المنطقة وتضطر أن تأتي بكل أساطيلها إلى المنطقة فهذا دليل ضعف ويؤكد جهل حكام المنطقة بشعوبهم الذي ينتمون إلى ثقافة الجهاد والمقاومة، ولذلك ما يحصل ليس مدعاة للخوف بل مدعاة للأمل».

وتوجه سماحته للحضور بالقول: «أستطيع أن أقول لكم إنه خلال العام الماضي أمتنا واجهت أصعب حرب في تاريخها، والولايات المتحدة وحلفاؤها بكل إمكانياتهم وقوتهم جاءوا لسيطيروا على المنطقة، وليسقطوا الأنظمة الممانعة، والإمام الخامنئي كان قائد المواجهة في أصعب حرب تحتاج إلى الكثير من العقل والحكمة والشجاعة، وحتى الآن لا يمكن الكشف عن كثير من جوانب هذه الحرب».

وأضاف: «الإمام الخامنئي يعتقد أن إسرائيل إلى زوال ويعتقد أن ذلك ليس بعيدًا بل يراه قريبًا، ويعتقد أن هذه التسوية لن تصل

إلى مكان، وكل ما يجري الآن حولنا في فلسطين ومنطقتنا سواء ما حصل في مسارات تفاوض أو من خلال حركات المقاومة أو على مستوى الهبّة الفلسطينية التي تؤكد الإرادة الصلبة لهذا الشعب المقاوم وهذا الجيل من الشباب يؤكد أننا أمام أجيال من الشعب الفلسطيني تعيش أملاً قويًا واندفاعًا هائلاً للعودة إلى الأرض، وما يقوله الإمام الخامنئي عن إسرائيل يمكن أن نفهمه عندما نفترض التراجع الأميركي وإنجازات المقاومة، ونقيّم تجربة حرب تموز وحرب غزة وسوف نعتقد أن إسرائيل إلى زوال في وقت قريب إن شاء الله، وهذه الرؤية مبنية على قراءة صحيحة للوقائع وعلى شجاعة هذا القائد».

وأعتبر الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله أن: «الشباب الذي احتشدوا عند حدود الجولان السوري المحتل وإصرارهم على المواجهة شكلوا رسالة واضحة على هذا التصميم الموجود في هذه الأمة، وهم كشفوا مرة جديدة الإدارة الأميركية التي تطمح إلى مصادرة الثورات العربية، وجاء هذا الحدث ليؤكد التزام واشنطن المطلق بأمن إسرائيل، هذه هي واشنطن التي تحدثنا عن حقوق الإنسان وعن الحريات، هذه الدماء الزكية بالأمس شاهد جديد لتكريس الوعي السياسي والتاريخي الذي كرَّسه الإمام الخميني ومن بعده الإمام الخامنئي».

البعد التقريبي
في شخصية الشهيد البنا

محمد علي التسخيري *

• كان البنا شخصية حركية مؤثرة خالدة • كان جبلاً شامخاً في همومه وتحركه ونشاطه وتخطيطه وإخلاصه • البنا هو الذي اقترح اسم «التقريب» على جماعة الدعاة إلى الوحدة الإسلامية في القاهرة • سرت روح التقريب من البنا إلى المخلصين من جماعة الإخوان المسلمين • البنا صاحب القاعدة الذهبية: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

دفعتني الذكرى المئوية لولادة الشهيد الكبير الاستاذ حسن البنا (١٩٠٦ـ٢٠٠٦) للحديث الموجز عن بعد واحد من أبعاد شخصيته الفذة المعطاء، وهو البعد التقريبي الحافل، تقديرًا لدوره الكبير في مجال توحيد الأمة وتعبئة طاقاتها لتحقيق النهضة الشاملة ومواجهة التحديات الخطيرة.

*- الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الجمهورية الاسلامية الإيرانية.

فقد كان (رحمه الله) أحد الكبار الذين أقدموا على تأسيس دار التقريب بين المذاهب الاسلامية وهم نخبة من العلماء المعروفين من قبيل:

الاستاذ محمد علي علوبة باشا

والشيخ عبدالمجيد سليم ـ شيخ الازهر

والحاج امين الحسيني – مفتي فلسطين

والشيخ محمد عبدالفتاح العناني – عضو هيئة كبار العلماء وزعيم المالكية

والشيخ عيسى منون – عضو هيئة كبار العلماء من علماء الشافعية

والشيخ محمود شلتوت – شيخ الازهر وعالم الحنفية

والشيخ محمد تقي القمي – من علماء الامامية

والشيخ عبدالوهاب خلاف – من اكابر علماء الاصول المتأخرين

والشيخ علي الخفيف – شيخ الازهر

والشيخ علي بن اسماعيل المؤيد – من علماء الزيدية

والشيخ محمد عبداللطيف السبكي – استاذ الازهر من الحنبلية.

والشيخ محمد محمد المدني – العالم الكبير

والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء – من مراجع النجف

والسيد هبة الدين الشهرستاني – من علماء الكاظمية

والعلامة عبدالحسين شرف الدين – العالم الكبير المعروف

ان وقوف هذا الاستاذ إلى جانب هذه الكوكبة الطليعية يعبر اعظم تعبير عن جرأته وشجاعته وبعد نظرته التقريبية وقد تجلى هذا البعد في النظام الاساسي لهذه الجماعة وخصوصا في المادة الثانية التي تحدثت عن اهداف الجمعية قائلة:

تستهدف هذه الهيئة مايلي:

١ـ السعي لتحقيق الارضية المناسبة للوحدة والتضامن بين المذاهب الاسلامية المختلفة ذلك ان الرؤى التي لاترتبط بالاصول الاسلامية العامة قد فرقت بين المسلمين.

٢ـ نشر العقائد والقوانين الاسلامية العامة باللغات المختلفة وتوضيح احتياج المجتمع لها في مقام العمل.

٣ـ السعي لحل النزاعات بين شعبين او طائفتين اسلاميتين وتحقيق التقريب والتضامن بينهما.

ورغم ان المرحوم البنا لم يكن من علماء الأزهر إلا أنه كان ذا شخصية حركية رائعة تترك تأثيرها بسرعة هائلة على الآخرين ونجد نموذجًا لذلك في حديث الشيخ القمي عن ذكرياته مع جماعة التقريب حيث «يقف طويلا عند الشيخ حسن البنا. وحين يذكره يسري إلى جسده نوع من النشاط والحيوية في الكلام كأن نشاط الشيخ البنا يسري إلى جسده. لم يكن حسن البنا عالما أزهريًا ولم تكن له علاقات مع شيوخ الأزهر، لكنه كان

جبلاً شامخًا في همومه وتحركه ونشاطه وتخطيطه وإخلاصه. بهذه الصفات الكبيرة اخترق أوساط الشباب الجامعي وربى جيلا تقيًا ورعًا مجاهدًا مثقفًا ثقافة إسلامية واعية صحيحة. كان يحمل هم التقريب بين مذاهب المسلمين انطلاقًا من هدفه الذي كان يعيشه بكل وجوده، وهو عودة الأمة المسلمة إلى عزتها وكرامتها ومكانتها على الساحة التاريخية. روحه التقريبية هذه سرت إلى جماعة (الإخوان المسلمين) التي أسسها ورعاها وأشرف على مسيرتها. وآثاره لاتزال حتى اليوم موجودة بين جماعات الإخوان المسلمين. فهي الجماعة السلفية الوحيدة التي ترفض التعصب الطائفي وتقيم علاقاتها على أساس الإسلام وحده لا المذهب، ولاتعير أهمية للخلافات المذهبية.[1]

وقد ذكر الأستاذ آذرشب أن الشيخ البنا كان من الأوائل في هذه الجماعة ومن المهتمين بدفع مسيرة الدار وأضاف: وكان الحديث في الأيام الأولى لتشكيل الجماعة يدور عن اسم للمؤسسة التي يهم الشيخ القمي بإنشائها، هل تحمل اسم الوحدة، أو التعارف، أو التعاضد أو ... ؟ غير أن الشيخ حسن البنا اقترح اسم التقريب لأنه أقرب إلى التعبير عن أهداف الجماعة. وحملت الجماعة والدار أسم التقريب، بناء على اقتراح هذا الشيخ التقي المجاهد.

١ـ ملف التقريب للاستاذ الدكتور محمدعلي آذرشب ص ١٣٧.

صحيفة البنا تتبنى التقريب

لابأس أن نذكر أن الشيخ كان مهتمًا أن ينشر في صحيفته ما يقرّب بين أهل السنة والشيعة، وكان يتعاون مع دار التقريب في إيصال صوتها إلى السعودية التي حظرت هذا الصوت آنذاك. ولا بأس أن أذكر إحدى ذكريات الشيخ القمي في هذا المجال.

بعد حادثة إعدام السيد أبو طالب اليزدي في الحجاز انقطع سفر الإيرانيين إلى الحج لسنوات، ثم عاد حج الإيرانيين، وعمدت دار التقريب إلى نشر مناسك الحج على المذاهب الخمسة أي مذاهب أهل السنة الأربعة ومذهب الشيعة الإمامية، من أجل ازالة ما علق في الأذهان تجاه الشيعة إثر التشويش الذي حدث بعد إعدام السيد الإيراني وخلال سنوات انقطاع الإيرانيين عن الحج. هذه المناسك توضح بمالايقبل الشك أن السنة والشيعة متفقان في معظم مناسك الحج إن لم يكن كلها.

ما كان بالامكان إدخال هذه المناسك إلى السعودية لتوزيعها في موسم الحج، لأن التعليمات هناك لم تسمح بذلك آنئذ.

الشيخ حسن البنا وجد الطريق إلى ذلك، فطبع كل هذه المناسك في صحيفته، وأدخلها في موسم الحج إلى السعودية، وتوزعت بين الحجاج وكان لها أبلغ الأثر بين المسلمين.

وفي تلك السنة حج الشيخ حسن البنا، والتقى في أيام الحج بالعالم المجاهد آية الله ابو القاسم الكاشاني الزعيم الديني لحركة تأميم النفط في ايران.[1]

١ـ م . ن ص ١٣٨.

وقد نقل لي العلامة السيد هادي الخسروشاهي أن بعض العلماء الكبار في إيران كانوا ينظرون إلى خطوات المرحوم البنا العملية بكل تقدير فقد حضر السيد الخسروشاهي عام ١٣٧٥هـ.ق في مجلس آية الله السيد رضا الصدر – وهو أحد كبار العلماء – فرآه يتحدث عن الأسرار الاجتماعية للحج مركزًا على قضية الوحدة الإسلامية وتحدث بالمناسبة عن دور المرحوم البنا في سفره إلى الحج في مجال تعريف المصريين بحقيقة الشيعة واعترض على ما كانوا يلاقونه من نظرات مشككة فيهم مؤكدًا على إسلاميتهم. وهنا التفت المرحوم الصدر إلى الحاضرين ليقول لهم: لابد وأنكم تعرفون الشيخ حسن البنا إنه البطل الصامد إنه القائد العالمي الخالد للإخوان المسلمين.[١]

وقد سرت هذه الروح التقريبية في أوصال الإخوان المسلمين وانتشرت بانتشارها العالمي فقد كان من مبادئها الابتعاد عن الجدل المذهبي ـ الطائفي[٢] فكان الإخوان يلتزمنون دائمًا بروح الإسلام ولاينحصرون في مذهب واحد ويبتعدون عن الخلافات الفرعية ويحذرون الآخرين من الدخول فيها بل اعتبروها ـ كما هو الحق ـ متنفسًا طبيعيًا للمسيرة ومظهرًا من مظاهر المرونة الإسلامية والاجتهاد.[٣]

١ـ سند مخطوط.

٢ـ من خطب حسن البنا ص ١٨ – ٢٠.

٣ـ دعوتنا ص ٤٣.

وقد أكد هذا المنحى القادة الذين واصلوا دربه فهذا المرحوم مصطفى مشهور يقول في رسالة له للسيد الخسروشاهي:

فإن دعوة الإخوان المسلمين منذ نشأت على يد المرشد الأول الإمام حسن البنا هي دعوة تدعو إلى وحدة المسلمين جميعًا على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم الدينية والفكرية لأن المسلمين ذلوا وهانوا أمام أعدائهم بسبب الفرقة والتنازع والاختلاف المفضي إلى الكراهية والبغضاء.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا﴾ ويقول سبحانه: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم﴾.

والأساس الفكري لذلك لدينا تجده في ركن الفهم والأصول العشرين، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة هما المصدران للتشريع.

لانكفر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما ما لم يأت بعمل من أعمال الكفر وكذلك المقولة التي اشتهرت وذاعت حتى عرفت بالقاعدة الذهبية «**نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه**». والمعنى واضح فالاتفاق يكون عادة في الأصول والاختلاف في الفروع.

والإمام الشهيد حسن البنا عليه رحمة الله كان مهمومًا بهذا الأمر في أقواله وأفعاله: فلقد شاهدت صورة له في عام ١٣٢٥هـ مع كبار العلماء في عصره منهم الشيخ عبدالمجيد سليم شيخ الأزهر

في ذلك الوقت وسماحة الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين ومحمد التقي القمي وآخرين وآخرين في اجتماع في دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وعلاقة الاخوان المسلمين العملية بالشيعة في إيران وغيرها منذ خمسينات هذا القرن وبعد قيام الثورة الايرانية تشهد بذلك.

إن المسلمين أحوج ما يكونون إلى لمّ صفهم وجمع كلمتهم وكفاهم الفرقة التي مكنت لأعدائهم منهم وأوهنت قواهم. إن الخلافات بين السنة والشيعة الزيدية أو الاثني عشرية لاتتجاوز بعض الفروع فالكل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع والسنة المطهرة هي المصدر الثاني والكل يتجه إلى قبلة واحدة. إن الدين لايخضع لأهواء العامة. وقد آن الآوان أن تخمد هذه الفتن وينطفئ لهيبها. هذا وبالله التوفيق.

مصطفى مشهور ٢٧ رجب ١٤٢٣هـ القاهرة

وهذا النَفَس التقريبي يشيع في كتابات المرحوم الداعية الكبير الشيخ الغزالي والمرحوم حسن الهضيبي والشيخ عمر التلمساني والشيخ سيد قطب والشيخ الترابي والشيخ محمد حامد أبو النصر والشيخ مأمون الهضيبي والأستاذ محمد مهدي عاكف وغيرهم.

ولعل هذه الروح هي من أعظم العوامل التي قربت الحركة إلى

الثورة الإسلامية الكبرى التي قادها الإمام الخميني الراحل والحديث في هذا المجال يطول لو أردنا التفصيل.

ومن هنا كان الاعتدال والوسطية من أكبر السمات التي اتصفت بها حركة «الاخوان المسلمين».

يقول الأستاذ محمود عبدالحليم في دراسته عنهم «وقد يكون من أعظم إنجاز الاخوان المسلمين أنهم استطاعوا أن يحفظوا للفكرة الإسلامية وسطيتها دون انحراف أو انجراف وسط تيارات عاتية من طبائع شائعة وأهواء جامحة وظروف قاسية».[1]

ونكاد نلمح هذا المعنى في معظم كتاباتهم وتستند أدبياتهم إلى الكتب المتداولة عند الشيعة بشكل أكثر من غيرهم من مثل *نهج البلاغة* الذي جمع فيه الشريف الرضي شذرات رائعة من كلمات امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول الأستاذ عبدالحليم مثلا حين عرضه لرسالة الإمام علي(ع) إلى مالك بن الحارث الأشتر بالولاية على مصر يقول:

«ويعد هذا الكتاب إحدى الوثائق التاريخية، بل إحدى الذخائر النادرة، التي لم يجد الدهر بمثلها، ولا تفتقت أذهان علماء الإدارة المتخصصين حتى اليوم عن شيء يقارنها أو يدانيها»[2].

١ـ الاخوان المسلمون رؤية من الداخل الجزء الثالث ص ٥٨١.

٢ـ ن. م ج ٢ ص ٢٩٢.

وقد أصاب في كلامه هذا كبد الحقيقة.

كل ذلك كان من تأثير كلمات الإمام البنا الرصينة وتوجهاته الرائعة ودعوته الواضحة إلى الانفتاح على الأمة بمجموعها وقد واجه في ذلك معارضة شديدة من المتزمتين السلفيين من جهة والمتصوفة المتطرفين من جهة أخرى لأن دعوته سلكت مسلكًا واقعيًا وسطًا فقد كتب (رحمه الله) في مجلة (الإخوان المسلمين) في أواسط الثلاثينات من القرن الماضي مقالا رسم فيه مربعًا كبيرًا كتب على حوافه الأربع من الداخل (لا اله الا الله محمد رسول اله) ورسم في مركز هذا المربع مربعًا صغيرًا.

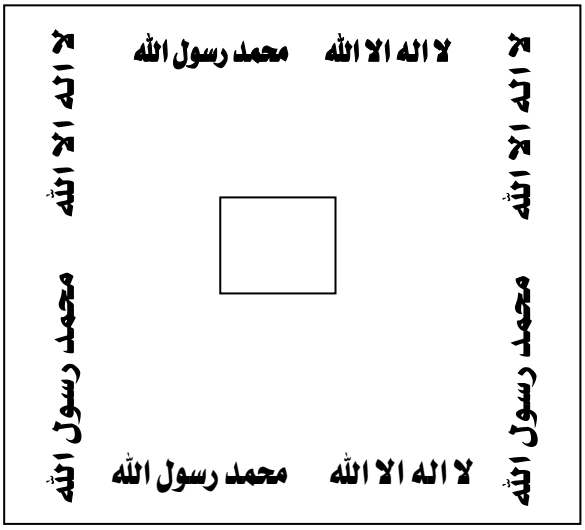

وكتب يقول إن أخواننا الذين ينتقدوننا يحصرون دعوتهم في المربع الصغير الذي يقع في مركز الدائرة وهم بذلك يقصرونها

على الذين اكتمل فيهم كل ما يرون أنه العقيدة الصحيحة.. وهذا عدد ضئيل، أما نحن فنتوجه بالدعوة إلى كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله مهما كان مقصرًا فيما سوى ذلك من تعاليم الإسلام وأفكاره. وكل ما نطالبه به أن يرتبط معنا برباط الأخوة الإسلامية للعمل على استعادة مجد الإسلام وهذه الدعوى غير المشروطة بشيء إلا بالاقرار بالشهادتين يستجيب لها طوائف على درجات متفاوتة من الايمان بالتعاليم الاسلامية والعمل بها».[1]

وبطبيعة الحال فهو يعتبر ذلك مسارًا للهداية ونشر العمل بالاسلام بكامله في المجتمع ولايغلق مطلقًا – كما هو الواقع – الحوار العلمي الهادئ في المجال الفقهي والأصولي وكذلك المجال العقائدي والتاريخي فكل ذلك أمر مقبول ولكن في إطار الشهادتين والإيمان بأركان الإيمان والإسلام فرحمه الله وجزاه خير الجزاء ونحن من جديد نحيي روحه الطاهرة وفكره البناء في ذكراه المئوية راجين أن يتجه المسلمون جميعًا للعمل على تحقيق الوحدة الإسلامية التي ما لم نحققها فإننا لن نحظى بالتحلي بالخصائص القرآنية لهذه الامة.

١ـ م. ن ج ٢ ص ٣٥٥.

رؤى التقريب عند الشهيد الأول والشهيد الثاني

حسن بغدادي *

• اهتمّ الشهيدان بالتتلمذ على علماء السنّة والشيعة والاطلاع على مصادر الفريقين • لم يكن استشهادهما بأسباب طائفية بل لحسد وضغينة وضيق أفق لدى بعض من عارضهما • عُرفا بالعلم والتقوى وتجاوز الذات والبذل والعطاء في سبيل الأمة • كلاهما بلغا درجة كبيرة من العلم والدقّة والانفتاح.

بداية يجب التنبّه إلى أن الوحدة الإسلامية لم تكن من مخترعات هذا القرن، وإنما عُمل لها وبُذل الغالي والنفيس في تحقيقها منذ قرون،

وهي نتيجة قناعة تشكلّت عند علمائنا الأبرار بضرورة العمل على وحدة وإتحاد الأمة الإسلامية، لما تشكّل الفرقة من مخاطر كبرى وأساسية يكون المستفيد منها على الدوام ملة الكفر.

والشرط الأساس في تحقيق هذا الهدف الابتعاد عن أية مجاملة

*- عالم وباحث لبناني.

أو مناورة ، ونحن لم نعهد دعاة الوحدة مجاملين أو مناورين وسيرة الفقهاء تدلّل على ذلك، بالأخص أن دعاة الإلحاد يعملون ليل نهار على بثّ الفرقة بين المسلمين وإثارة الضغائن والتلفيقات الكاذبة كيما تنتج تعصبًا أعمى يُلحق أكبر الضرر بالمسلمين.

في هذه الدراسة حول منهجية التقريب عند الشهيدين الأول والثاني، طاب ثراهما، لابدّ أن أقدم حقيقة جلية وواضحة حول هذا المفهوم، الذي لا يقبل الشك والمراوغة، من خلال عرض دقيق لمسلكية الشهيدين، إن من جهة التعاطي مع الشأن العلمي والفكري والثقافي من خلال علماء السنة ومعاهدهم العلمية، وإمّا من جهة الانفتاح الواضح على القاعدة السنيّة والتعاطي معها بكّل إخلاص، يجعلها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بثوابتها الأساسية، ولتضييع الفرصة على المتصيدين في الماء المعكر.

هذه الأفكار الرائعة التي انطلقت من ذهنية الشهيدين لم تكن صدفة أو جاءت من فراغ، وإنما لها علاقة وثيقة بالبيئة البيتية والقروية والمناطقية، ففي عام ٧٢٩هـ ١٣٢٨م ولد الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي الجزيني في قرية من قرى جبل عامل (جزين) وهي من أجمل قرى المنطقة[1].المعروفة بشلالاتها الطبيعية وهضابها الجميلة، وهي تقع على خط يفصل البقاع الغربي عن جنوب لبنان، ولعلّها قديمًا كانت بوابة جبل عامل في اتجاه دمشق، ومن حسن القدر أنّ هذه القرية ظلّت خارج الاحتلال

١ـ *روضات الجنات – أعيان الشيعة – أمل الأمل.*

الصليبي لجبل عامل، الذي دام ما يقرب زهاء قرنين من الزمن[1]. ممّا جعل منها قرية متنورة يجتمع فيها كل المناهضين للاحتلال الصليبي، وفي نفس الوقت تكون فيها نواة مشروع بدأ يحضّر للمنطقة من خلال نفس بيت الشهيد.

وهنا سألخص حياة الشهيد الأول في محطات ثلاث.

المحطة الأولى: نشأته في جبل عامل.

نشأ في بيت عرف بالعلم والتقوى؛ فوالده الشيخ مكي بن محمد بن حامد الجزيني، قال عنه الحر العاملي، (بأنه من فضلاء المشايخ في زمانه[2] وأيضا عبّر عن جده (بأنه عالم ثقة)[3]، ومن الطبيعي أن ينعكس هذا المناخ على شخصية الشهيد ونمط تفكيره وهو يشاهد ملة الكفر تستبيح أرضه وتقهر شعبه، مما فرض على قسم من الناس أن يدينوا بغير دينهم، من هنا كانت ذهنية الشهيد تتجاوز حدود القرية لتلامس حدود الأمة الإسلامية في جميع مذاهبها وألوانها فالخطر المحدق بها يتجاوز حدود كلّ مذهب منهم.

عمل الشهيد على أن يصبح رمزًا دينيًا، ورقمًا صعبًا في المعادلة العلمية والفكرية، وجبل عامل في ذلك الوقت لا يستطيع أن يحقق

١ـ *دائرة المعارف*.

٢ـ *أمل الآمل* للحر العاملي ج ١/ ١٨٥.

٣ـ *أمل الآمل* للحر العاملي ج ١/ ١٠٥.

له طموحه، حيث لم يكن مستقلاً علميًا بسبب الظروف الأمنية، التي كانت تعيشها المنطقة، ولذلك بمجرد أن استنفذ الطاقات العلمية في جبل عامل غادرها إلى الحوزة الأم، الحلة آنذاك، وقال هذا كل من ترجم عنه في *الأعيان وأمل الأمل والروضات* فالاحتلال الصليبي للمنطقة جعل أوضاع أهل هذا الجيل قاسية للغاية، فكما ينقل السيد حسن الأمين عن *تأريخ جبل عامل*[1]: كان الناس يعيشون الغربة في أوطانهم، ويدفعون الجزية إلى الأفرنج ويشاطرونهم الغلات، ومع ذلك لم ينقطع وجود علماء فضلاء كانوا يقومون بدورهم التبليغي الديني.

المحطة الثانية: بناء شخصية الشهيد الأول العلمية.

حيث كانت مدينته الحلة، فما إن وصل إليها حتى فوجئ بموت ورحيل العلامة الحلي، وعاد أهل العلم إلى نجله فخر المحققين، فبقي مايزيد على عقد من الزمن تلميذًا وباحثًا منكبًا على العلم بلا ملل ولا ضجر حتى استبانت مكانته العلمية ، مما جعل فخر المحققين يقول عنه: إنني استفدت منه أكثر مما استفاد مني، وان كان هذا الكلام محمولا على المبالغة ، لكن أن يصدر عن موقع بهذا الحجم له دلالته الواضحة على المقصود، ودرس أيضا على الأخوين العالمين السيد عميد الدين الحلي الحسيني والسيد ضياء الدين الحلي الحسيني وهما شارحا كتاب التهذيب لخالهما العلامة الحلي، وأجازا الشهيد بالاجتهاد

١ـ *دائرة المعارف* للسيد حسن الأمين.

والرواية، وخلال هذه المدة حاز شهيدنا الأول على العديد من الإجازات وقد دونت بعدة مصادر، كما جاء في كتب التراجم، أمل الأمل، تكملة أمل الأمل أعيان الشيعة – لؤلؤة البحرين – الكنى والألقاب، بحار الأنوار.

المحطة الثالثة: الشهيد الأول مع فقهاء ومعاهد أهل السنة، فقد غادر الشهيد الحلة وهو أحد فضلائها[1]، المشهود له بالمكانة العلمية، والفكر المتنور المتطلع إلى مشروع بدأت آثاره تظهر في طريق العودة إلى جزين، كما عبر بهذه العبارة الشيخ جعفر المهاجر[2].

لم يعد الشهيد مباشرة إلى جزين مكتفيًا بهذا القدر من العلم الذي حصل عليه رغم الحنين والشوق إلى الوطن والأهل، بل عمد إلى التوجه إلى المراكز العلمية عند علماء السنة، ليطلع أولاً على المخزون العلمي والفكري لدى فقهائهم، وثانيًا كيما تنشأ علاقة تمهّد لطرح مشروع يفتح بابًا كبيرًا للحوار مع الفكر السنّي، ويؤسس لأنماط من العلاقات المختلفة ويقطع الطريق على من سيلحق الضرر بالمصالح الكبرى لهذه الأمة مستغلاً تفككها.

ففي سنة ٧٥٨ هـ اتجه الشهيد الأول إلى بغداد، وأقام فيها مدة من الزمن، كما ينقل ابن الجزري في *طبقات القراء*[3]. حيث درس

١ـ كما وصفه في *روضات الجنات* / ٥٩٠: بأنه أفقه جميع فقهاء الآفاق.

٢ـ سبقه فقهاء أبطال.

٣ـ *طبقات القراء* لابن الجزري ٢/ ٢٦٥.

على فقهاء أهل السنة منهم شمس الأئمة الكرماني – محمد بن سعيد الفرشي – الفقيه الشافعي، بعد ذلك غادر بغداد باتجاه عواصم ذات طابع سني، مثل دمشق والقاهرة ، ومكة المكرمة والمدينة المنورة، ومقام الخليل إبراهيم وبتعبير منه رحمه الله: أنه درس على أربعين شيخًا من علماء أهل السنة وأحصاهم في إجازته لابن الخازن الحائري في دمشق ٧٨٤هـ والموجودة في *بحار الأنوار*[1].

بعد كل هذه الرحلة الطويلة والتنقّل في مدارس العلم عند الشيعة والسنة استطاع أن يتحول إلى رمز كبير في العالم الإسلامي، وهنا يظهر من جميع ما تقدم أن الشهيد الأول كان يحضّر لمنهجية جديدة تخدم المسلمين عامّة، مستفيدًا من أوضاع مختلفة.

منها: مرحلة دولة المماليك التي لم تلتفت إلى الاختلاف المذهبي، ولم تحرّض عليه وكل همّها التمسّك بالسلطة، خصوصًا أن الحكام كانوا من الأميين.

ومنها: كما أسلفنا بقاء جزين خارج الاحتلال الصليبي، واعتبار جبل عامل وجزين بالذات قاعدة لهذا المشروع، وكون دمشق عاصمة للسلطة السياسية، من جهة، والأقرب للمعاهد السنية من جهة أخرى، مما استوجب لحضوره هناك رادعا من أي تأثير خارجي على مشروعه الوحدوي النهضوي. من هنا: جاء رفضه لطلب حاكم خراسان علي بن المؤيد، حينما دعاه إليها،

١ـ *بحار الأنوار* ج٢٥/ ٣٩.

ليكون مرجع الشيعة هناك، وذلك ليقينه بإن الأعباء في هذه المنطقة، وما سيحصل من تداعيات لن يتمكن أحد من تحمّلها غيره وملخص القول:

ان الشهيد الأول الذي ذهب إلى ولاية الفقية العامة، فهو بطل الوحدة الإسلامية، ومؤسس الحوار بين المذاهب، والرافض لفكرة رفض الآخر لمجرد الاختلاف.

رؤى التقريب بين المذاهب ، عند الشيخ زين الدين الجبعي (الشهيد الثاني)

عند المطالعة في سيرة هذا الرجل العظيم تجدها مليئة بأحداث هامة على مستوى الأمة، وفيها استكمال لنهج أسّسه شيخنا وإمامنا الشهيد الأول: تقوية المذهب على أساس الحوار مع الآخر.

وتجد الشهيد الثاني يحمل مواصفات قل نظيرها ، فهو قائد مضحي وشجاع حكيم يتلمّس خطواته بعين ثاقبة، الميزان فيها: رضي الله تعالى ومصلحة الناس: لم يكن الشهيد همّه طلب العلم لذاته، حتى إذا ما حصل على الحظّ الوافر منه انطوى على نفسه، وأحاطها بكمية هائلة من الممنوعات تحت عنوان: أنها لا تتناسب والمقام.

لقد أدرك الشهيد الثاني خطورة تلك المرحلة التي سوف تكون أشدّ إيلاما من الاحتلال الصليبي للمنطقة؛ حيث كانت تواجه فيه عموم المسلمين، بينما في الإمبراطورية العثمانية الخطر داخلي بين المسلمين أنفسهم، حيث تترسّ العثمانيون خلف المذهب السنّي، وجعلوه غطاءً لكلّ تصرفاتهم، فكان لابد من وضع حد

لهذا التترسّ من خلال مشروع يضمن وحدة المسلمين، ويجمعهم على قواسم مشتركة، على هذا الأساس نمت شخصية الشيخ الجبعي مواكبة لكل هذه التطورات، ومتطلعة إلى نهضة علمية واجتماعية تكون مانعًا من هذه الذهنية الخطيرة، وهذا يتوقف على أمرين:

الأمر الأول: بروز الشهيد الثاني مرجعية شيعية.

والأمر الثاني: حضوره كمفكر إسلامي وفقيه عند فقهاء السنة ومجتمعاتهم.

الشهيد الثاني مرجعية شيعية:

بالتأكيد هناك بيئة وبيت وظروف ساهمت في صنع شخصية الشهيد الجبعي، وكما يذكر تلميذه محمد بن علي بن الحسن العودي (الجزيني): أنه وجد في خط أستاذه الشهيد الثاني سيرة حياته، ثم ألحقها بالرسالة التي كتبها عن أستاذه الشيخ الجبعي سماها *بغية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد* كما جاء في *الدر المنثور*[1]، ولد الشهيد الثاني في بلدة جبع ٩١١هـ، وهي قرية جميلة من قرى جبل عامل ترتفع عن سطح البحر ما يقرب من تسعمائة متر، وتعتبر من أهم المصائف في لبنان يقصدها كبار العلماء والأدباء والشعراء للاصطياف والنقاهة،

١ـ *الدر المنثور* / ج ٢/ ص ١٥٧.

حيث أن الرسالة وفي *بغية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد* فُقد أكثر فصولها ولم يبق إلا بعض الفصول منها أوردها الشيخ علي بن محمد بن الحسن بن زين الدين حفيد ابن الشهيد في كتابه *الدر المنثور*.

فجمالها الطبيعي وهواؤها النقي وماؤها العذب وكل ما فيها يدّل على عظمة الخالق، وليس مستغربًا أو صدفة أن تنتج هذه البقعة أحد كبار فقهاء الإمامية، ومن أصحاب العقول النيرّة التي تدرك حقائق الأشياء والمصالح الكبرى لهذه الأمة، مضافًا إلى كونه من سلالة فقهاء، كما ذكر الحر العاملي[1]: أن جده الشيخ صالح الطلوسي هو من تلاميذ العلامة الحلي ، وهذا يساعد على الاتجاه المبكرّ لطلب العلم وستكون الأسباب مهيئة له أكثر من غيره.

يقول الشهيد عن نفسه كما جاء في *الدر المنثور*: ولا أحفظ مبدأ انشغالي بالعلم ولكن كان ختمي لكتاب الله العزيز سنة عشرين وتسعمائة، وسنيّ آنذاك تسع سنين ، ثم اشتغلت بعده بقراءة الفنون العربية والفقه على الوالد (قده سره) إلى أن توفي سنة ٩٢٥هـ وكان جملة ما قرأته عليه من كتب الفقه: *المختصر النافع والشرائع واللمعة الدمشقية* للشهيد الأول، ثم ارتحلت إلى بلدة «ميس» في جبل عامل، واشتغلت في تحصيل العلم على شخينا الجليل الشيخ علي بن عبد العالي الميسي إلى سنة ثلاث وثلاثين ومن جملة ما قرأت عليه *شرائع الإسلام والإرشاد* وأكثر القواعد، ثم ارتحلتً الى بلدة كرك نوح التي تقع في منطقة البقاع على الطريق العام، فقرأت على المرحوم المقدس السيد حسن بن السيد جعفر بن الأعرج الكركي جملة من الفنون: *كقواعد*

١ـ الحر العاملي في *أمل الآمل* ١/ ١٠٢.

ميثم البحراني في الكلام، *والتهذيب* في أصول الفقه، *والعمدة الجلّية* في الأصول الفقهية من مصنفات السيد المذكور، *والكافية* في النحو، وغيره من الفنون، ثم انتقلت إلى بلدي (جبع) سنة أربع وثلاثين حتى ٩٣٧هـ.

هنا نستطيع القول أن الشهيد الثاني حصل على درجة كبيرة من العلم، وأصبح من المجتهدين الكبار، وتظهر عظمة هذا الفقيه أنه لم يكتف بهذا القدر بما عند فقهاء الإمامية ، حيث كان يعتقد أن الاجتهاد في الفقه الجعفري لا يكتمل إلا بالإطلاع على الفقه السنّي.

المرحلة الثانية الشهيد الثاني فقيه ومفكر عند فقهاء السنّة:

فالمرحلة هذه بدأت سنة ٩٣٧هـ عندما صمّم على مغادرة البلاد متجهًا إلى العواصم التي يتواجد فقهاء ومعاهد أهل السنة، وهنا الاحظ من السيرة التي كتبها رحمه الله عن نفسه أنه في هذه المرحلة من حياته رسم مشروعا واضحًا لخدمة هذه الأمة، ولتجنيبها مذابح إضافية، وتفكيك مذهبي سوف لا يبقي ولا يذر، فكان لابد من الوصول إلى السلطة السياسية، وبالتالي إلى المجتمع السني، وهذا متوقف على نشوء علاقة وطيدة مع فقهاء السنة، الذين يشكلّون همزة الوصل مع السلطة السياسية، وهي بدورها ستتيح فرصة العلاقة المباشرة مع المجتمعات السنيّة.

دمشق كانت المحطة الأولى، فيقول هو رحمه الله، كما جاء في *الدر المنثور* : ثم ارتحلت إلى دمشق واشتغلت فيها عند الشيخ الفاضل والمحقق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكي، فقرأت

عليه كتب الطب وشرح *الموجز النفسي* وغاية *القصد في معرفة القصد* ومصنفات الشيخ المبرور المذكور، وبعض *حكمة الإشراق* للسهروردي ، وقرأت في تلك المدة أيضا على المرحوم الشيخ أحمد بن جابر *الشاطبية* في علم القراءات، وقرأت عليه القرآن بقراءة نافع وابن كثير وأبي عمر وعاصم.

ثم عاد الشهيد الثاني إلى بلدته جبع والى عائلته حتى تمام سنة ٩٤١هـ ويستطرد الشهيد الثاني قائلا: رحلت إلى مصر في اول سنة ٩٤٢ لتحصيل ما أمكن من العلوم، واجتمعت في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الأفاضل، فأول اجتماعي بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي. وقرأت عليه جملة من *الصحيحين* وأجازني في روايتهما مع ما يجوز له روايته، واشتغلت في مصر أيضا على جماعة منهم الشيخ شهاب الدين احمد الرملي الشافعي. قرأت عليه *منهاج النووي* في الفقه ، و*مختصر الأصول* لابن الحاجب ، و*شرح العضدي*، مع مطالعة حواشيه، وسمعت عليه كتبًا كثيرة في الفنون العربية والعقلية وغيرهما. فمنها *شرح التلخيص*، *المختصر في المعاني والبيان* ملا سعد الدين . ومنها *شرح تصريف العربي*، ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات أمام الحرمين الجويني في أصول الفقه، ومنها *أذكار النووي*، وبعض *شرح جمع الجوامع المحلي في أصول الفقه* ، و*توضيح بن هشام* في النحو وغير ذلك مما يطول ذكره، وأجازني إجازة عامة بما يجوز له روايته سنة ٩٤٣هـ.

وممن قرأت عليه في مصر: الملا حسين الجرجاني، قرأنا عليه

جملة من شرح التجريد للملا علي القوشجبي، مع *حاشية ملا جلال الدين الدواني*، و*شرح أشكال التأسيس في الهندسة* لقاضي زاده الرومي، و*شرح الجغميني في الهيئة* له.

ومنهم: الملا محمد الاسترابادي، قرأنا عليه جملة من *المطوّل مع حاشية السيد شريف والجامي*، و*شرح الكفاية*.

ومنهم الملا محمد الكيلاني، سمعنا عليه جملة من المعاني والمنطق.

ومنهم: الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي، قرأت عليه جميع *شرح الشافية للجاربردي*، وجميع *شرح الخزرجية في العروض والقوافي* للشيخ زكريا الأنصاري، وسمعت عليه كتبًا كثيرة في الفنون والحديث، منها *الصحيحان*، وأجازني جميع ما قرأت وسمعت، وما يجوز له روايته.

ومنهم الشيخ أبو الحسن البكري سمعت عليه جملة من الكتب، في الفقه والتفسير، وبعض شرحه على *منهاج الأحكام*.

ومنهم: الشيخ المحقق ناصر الدين اللقايي المالكي، محقق الوقت ، وفاضل تلك البلدة، لم أر في الديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية، سمعت عليه *البيضاوي في التفسير*، وغيره من الفنون.

ومنهم: الشيخ ناصر الدين الطلاوي الشافعي، قرأت عليه القرآن بقراءة ابن عمرو، و*رسالة في القراءات* من تأليفاته.

ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن أبي النحاس، قرأت عليه *الشاطبية* في القراءات، والقرآن العزيز للأئمة السبعة.

ومنهم الشيخ الفاضل الكامل عبد الحميد السمهودي قرأت عليه جملة صالحة من الفنون وأجازني إجازة عامة.

ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الفرضي الشافعي قرأت عليه كتبًا كثيرة في الحساب، *والمرشدة في حساب الهند الغباري*، *والياسمينة وشرحها في علم الجبر والمقابلة*، *وشرح المقنع في علم الجبر والمقابلة*، وسمعت عليه بعض *شرح الوسيلة*، وأجازني إجازة عامة.

ومنهم أيضا عن كثير من علماء مصر بطول ذكرهم هنا ولكن منهم الشيخ عميرة الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق، والشيخ شهاب الدين البلقيني، والشيخ شمس الدين الديروطي وغيرهم.

وفي سنة ٩٤٨هـ يقول الشهيد الثاني: سافرت لزيارة بيت المقدس واجتمعت في تلك السفرة بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطف المقدسي، وقرأت عليه بعض *صحيح البخاري* وبعض صحيح مسلم واجازني إجازة عامة [1] ثم رجعت إلى الوطن الأول[2].

من هنا نجد في المطالعة السريعة لحياة الشهيد الثاني العلمية أنّ هناك قناعة حقيقية لديه رحمه الله كان قد ألزم نفسه بها؛ وهي ضرورة الإطلاع على فكر الآخر، وأنّ الطريقة والأسلوب

١ـ كما جاء في *الكواكب السائدة* للغزيّ: أنهم كانوا أعرف فقهاء القطر هذا عدا من أغفل ذكرهم كي لا يطول الخطب بفصليهم.

٢ـ *الدر المنثور* ٢/ ١٥٨ – ١٧٠.

التي درس فيها على علماء الشيعة هي نفسها التزمها مع علماء السنة ، ولو كانت مجرد مجاملة لاكتفى الشهيد بقدر يسير منها ، تمكنّه من تحقيق أهدافه السياسية والاجتماعية ، من خلال جلسات تعارف قصيرة ، بينما نراه قد أمضى سنوات من الدرس مع علمائهم ثم استجازهم في رواية كل ما أخذه عنهم ، ثمّ امتدحهم إن على الصعيد العلمي أو الخلقي ، وهذا له دلالة واضحة أن الشهيد الثاني يرى إلزامية الإطلاع على العلوم والفنون عند أهل السنة ، ليتمكن فيما بعد أن يطلق على نفسه لقب الفقيه (الشيعي).

الشهيد الثاني والسلطة السياسية

قلنا في البداية ان الشيخ الجبعي كان يحضر لمشروع كبير بدأت فصوله من علاقته بفقهاء السنة ولهذا رحلته إلى القسطنطينية لم تكن صدفة أو نزهة فهي محفوفة بكثير من المخاطر ، وكما قال الشهيد عن هذه الرحلة فيما أدلاه في الدر المنثور: ثمّ برزت إليّ الأوامر الإلهية والإشارات الربانية السفر إلى جهة الروم والاجتماع بمن فيها من أهل الفضائل والعلوم والتعلّق بسلطان الوقت والزمان السلطان سليمان بن عثمان ، وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع ومساق الفهم ، لكن ما قدّر لا تصل إليه الفكرة الكليّة والمعرفة القليلة من أسرار الحقائق وأحوال العواقب...) ، وهنا استطاع الشهيد أن يحقق بعض أهدافه من خلال علاقة وطيدة بناها في القسطنطينية بعد ما وصلها في

السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ٩٥٢هـ كما جاء في أعيان الشيعة[1].

الشهيد الثاني والمدرسة النورية

وهو ما كان يصبو إليه الشهيد الثاني أن تنتج هذه العلاقة مع السلطة السياسية أتاحة فرصة لعلاقة مميزة مع الشارع السنّي وهذا ما تحقق من خلال الوظيفة التي حصل عليها، وهي الإشراف على المدرسة النورية في مدينة بعلبك، وأراد الشهيد من خلال هذا الإشراف أن يستكمل فصول مشروعه بالاتجاه الاجتماعي، وخصوصا أنّ معظم أهالي بعلبك في ذلك التأريخ كانوا من أهل السنة.

وهنا يقول تلميذه ابن العودي كما جاء في *الدر المنثور* ج ١٨٢/٢.

كنت في خدمته في تلك الأيام ولا أنسى وهو في أعلى مقام ومرجع الأنام وملاذ الخاص والعام، يُفتي كلّ فرقة بما يوافق مذهبها، ويدرّس في المذاهب كلها، وصار أهل البلد كلّهم في انقياده، ومن وراء مراده بقلوب مخلصة في الوداد، وحسن الإقبال والاعتقاد وقام سوق العلم فيها على طبق المراد، ورجعت إليه الفضلاء من أقاصي البلاد، ورقى ناموس السادة والأصحاب في الازدياد، وكانت عليهم تلك الأيام من الأعياد).

١ـ *أعيان الشيعة* ج ٧/ ص ١٥١.

مصدر: رسالة التقريب العدد ٤٠.

افكار وآراء بشأن التقريب

محمد مهدي شمس الدين *

• بعض من لا يتمتع بالكفاءة ولا بالتقوى من علماء الدين ينشغلون في إصدار الفتاوى ضد أتباع المذهب الآخر

• الدراسات المقارنة من سبل تحويل الحالة المذهبية إلى حالة علمية • يجب الالتفات إلى دور مصالح الحكم في إثارة الصراعات الطائفية • مبدأ التقية مارسه أهل البيت للحفاظ على الوحدة • التمذهب ظاهرة طبيعية في كل عالَم ثقافي حضاري • المرجع في فهم أي مذهب هو علماء المذهب نفسه.

الخلافات السياسية وأسبابها الطائفية والمذهبية:

نلاحظ بقلق عميق أن بعض الخلافات السياسية التي تحدث بين المجتمعات الإسلامية أو في ضمن تلك المجتمعات تعود إلى أسباب طائفية ومذهبية، وهذا يشكل عنصرًا مدمرًا لقضية الوحدة.

وفي هذا المجال نذكر التعارض الكبير الذي يظهر بين حين

* - عالم ومفكر لبناني.

وآخر بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وبين محيطها والذي يعود قسم منه إلى اعتبارات مذهبية.

ونذكر التعارض الكبير الدموي الذي حدث داخل أفغانستان بين فئات الشعب الأفغاني، أو بين حركة طالبان وإيران.

ونذكر التعارض الدامي والأليم الذي حدث بأشكال متنوعة في العراق أو في بعض دول الخليج(الفارسي).

ونذكر التعارضات التي تحدث بين حين وآخر في باكستان مثلاً.

إن بعض علماء الدين الذين قد لا يتمتعون بالكفاءة العلمية المناسبة ولا بالورع الذي تقتضيه مناصبهم ينطلقون من التنوع المذهبي لإصدار فتاوى علنية أو مقنعة ضد أتباع المذهب الآخر أو المذاهب الأخرى ؛ وهذه ظاهرة كانت موجودة قديمًا على نطاق واسع ولا تزال بعض مظاهرها تتكرر الآن بين حين وآخر، وهي تظهر لدى الشيعة والسنة على السواء.

هذا الأمر ينعكس على علاقات المسلمين العامة فيما بينهم فيسممها، ويؤدي إلى انعكاسات سياسية، وإلى حالات تربص وحذر سياسي يشل قدرة الأمة ويصدع وحدتها، ويطيح بعوامل التقريب بين مذاهبها.

علم الكلام الجديد وقضية الوحدة

١. إنّ المبدأ الأساس الذي يجب أن يُلحظ عند النظر في

قضايا الوحدة والتقريب، هو أن وحدة المسلمين باعتبارهم أمة واحدة، هي من الحقائق الأساسية في الاعتقاد الإسلامي كما بيَّنا مرارًا، وهي ركن من أركان الإسلام، وينبغي أن يدرَّس هذا المبدأ في علم الكلام باعتباره أحد الاعتقادات الأساسية، وهذه نقطة مهمة حيث إن علم الكلام لا ينظر إلى الاجتماع الإسلامي المتمظهر في الأمّة، باعتباره من مجالات الاعتقاد الإسلامي. ولذلك يجب أن يكون هذا المجال أحد مجالات التجديد في علم الكلام الإسلامي.

٢. مما يجب أن يعنى به علم الكلام الجديد التركيز على الأثر العملي لأصول الدين الإسلامي في مجال الحياة اليومية للمسلم : أصول العقيدة الإسلامية التوحيدية بالله الواحد، بالنبوة الخاصة لمحمد التي تتضمن الإيمان بالأنبياء على أساس البيان القرآني في هذا الشأن، والإيمان باليوم الآخر بالتفاصيل التي وردت في القرآن الكريم، والعبادات الإسلامية الأساسية (الصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالوحي القرآني، الإيمان بالقبلة) وإلى غير ذلك.

٣. من الأمور الأساسيّة التي يجب وعيها في هذا الشأن هو أن الدعوة إلى الوحدة لا تعني إلغاء المذاهب كلاً أو بعضًا، ونحن لا نوافق على دعوة إسلام بلا مذاهب. كما لا يجوز لدعوة الوحدة أن يراد بها محو الخصوصيات المذهبية، أو دمج المذاهب ببعضها. فالوحدة لا تعني التلفيق بين المذاهب، ولا تعني دعوة كل مذهب

إلى أن يلغي خصوصياته ليتماثل ويتماهى مع المذهب الآخر، بل تعني الارتكاز إلى الثوابت العامة المشتركة في مجال العقيدة والشريعة باعتبارها أساسًا للأمة وأن التنوع الموجود هو تنوع في الوحدة وليس اختلافًا أساسيًا.

٤. ينبغي التركيز على أن الخلافات بين السنة والشيعة هي من طبيعة الخلافات بين مذاهب أهل السُّنة نفسها، وبين فقهاء كل مذهب من هذه المذاهب، كما هو الشأن في الخلافات بين الشيعة والشيعة، حيث نجد خلافات فقهية وأصولية، خلافات في مناهج الاستنباط، وخلافات في الاستنباط داخل كل مذهب بما يقارب أو ربما يماثل ويساوي الخلافات بين المذاهب. ومن هنا فلا يمكن اعتبار مجرد الخلاف في المنهج الأصولي أو في المنهج الفقهي داعيًا إلى الإخلال بمبدأ الوحدة.

٥. من المناهج التي يجب اعتمادها في قضايا تعميق وإحياء الوحدة وتحقيق التقريب هو الدراسات المقارنة المشتركة في مجال تفسير القرآن، وفي مجال السنة، وذلك في سبيل تحقيق فهم المشترك أو متقارب.

أ ـ في مجال القرآن

لا نقصد التوصل إلى حصر القرآن في فهم واحد، لأنّ هذا أمر لا يمكن الموافقة عليه، بل نقصد أن يتّسع نظر المفسِّر والمفكِّر والفقيه عند الرجوع إلى القرآن الكريم، لمناهج البحث القرآني عند سائر المدارس الإسلامية، فلا يكون أسير نظرة واحدة.

ب ـ في مجال السنّة

يجب تطوير مبنى يعتمد على وثاقة الراوي وعلى التحقق من الصدور ؛ وهذا يؤدي إلى النظر في قضايا الرجال . وقد لاحظنا في إحدي محاوراتنا أن الشيعة لا يعتمدون على أية رواية سنيّة، إلا بنحوٍ ثانويٍّ وهامشيٍّ جدًا ، والسنّة لا يعتمدون علي أيّة رواية شيعية علي الإطلاق تقريبًا ، وهذه قطيعة ليس لها ما يبرّرها على الإطلاق.

يجب البحث الموضوعي في الأسباب السياسية التي أدَّت إلى مقاطعة السنة المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهجرها ، وعن الأسباب الموضوعية الداعية إلى الاعتراف بمرجعيّة أئمة أهل البيت عليهم السلام في السنّة.

لقد زالت الأسباب السياسية للقطيعة ، فيجب أن تزول آثارها ، وأن يصحح وضع السنة بالعودة إلى مصدرها الطبيعي بعد النبي وهو أئمة أهل البيت عليهم السلام، مع عدم إهمال المصدر الآخر وهو الصحابة.

ينبغي أن تنشط الدراسات الحديثية المقارنة لتكتشف مجالات وحدة النص أو وحدة المضمون بين السنة المروية عن أهل البيت التي تشكل معظم السنة عند الشيعة ، وبين السنة المروية عن الصحابة والتابعين التي تشكل معظم السنة عند أهل السنة.

دور المصالح السياسية للحاكمين في تسييس الخلافات المذهبية

يجب البحث بعمق عن دور السياسة في إذكاء وتعميق

الخصوصيات المذهبية وشحنها بأسباب القطيعة وربما بأسباب العداء، ويجب البحث عن الخلفيات السياسية المصلحية للحكام أو للأسر الحاكمة، وللأحزاب الحاكمة في وضع مناهج حديثية وفقهية وتفسيرية ودمجها في النظام المعرفي أو في الهيكل المعرفي للإسلام، بحيث غدت عند أصحابها تمثل الإسلام المقدس المستقي من الكتاب والسنة، بينما هي في حقيقتها تعكس توجهات سياسية لا علاقة لها بالكتاب والسنة.

هنا يجب أن نلاحظ أن منهج أئمة أهل البيت عليهم السلام مثال يحتذى في النظر إلى قضية الوحدة واعتبارها عقيدة مقدسة لا يجوز التهاون في رعايتها. ونري أنهم ـ كما بيّنا في كتبنا ـ كلّما تعرّضت الوحدة للخطر يهبّون لدعمها وحمايتها وتحصينها، وعلى المنهج الذي ساروا عليه من أول الأمر حينما تعارضت قضية توليهم للسلطة مع قضية الوحدة، فإنهم آثروا قضية الوحدة على قضية السلطة، وحافظوا على وحدة الأمة في جميع الحالات، وكانوا يتجاوزون مواقفهم السياسية في سبيل وحدة الأمة. فنلاحظ مثلاً أنّ الإمام زين العابدين عبّر عن رؤيته هذه في عدة نصوص دُعائية من أبرزها دعاء الثغور وما إلى ذلك.

الوحدة والكيانات الوطنيّة والإقليميّة الخاصّة

في هذا النطاق نلاحظ مسالة عظيمة الأهمية تتصل بطبيعة الوحدة، وهي أن الوحدة لا تعني محو الكيانات الخاصة بكل

مجتمع أو بكل إطار من الأطر، حيث نري أن التعددية السياسية في صميم هذه الرؤية، ولا تتنافى مع الوحدة، بل نرى أن منهج أهل البيت في هذا الأمر ينسجم ويوفق بين التعددية السياسية والتنظيمية وفي نفس الوقت يحافظون على حقيقة الوحدة الجامعة لهذه التنوعات.

وفي هذا السياق يمكن أن نعتبر أن مبدأ التقيّة الإسلامي، الذي شرّعه الله تعالى في القرآن الكريم، كما عبَّر عنه الرسول في السنَّة، وطبَّقه أئمة أهل البيت عليهم السلام في الاجتماع الإسلامي بعد أن تفاعلت الاختلافات المذهبيّة الكلاميّة والفقهيّة على المستوى السياسي، هو أحد المحاولات العملية التي بذلها أئمة أهل البيت عليهم السلام من أجل المحافظة على الوحدة ؛ وإلا فلنتصور أن مبدأ التقية لم يحكم المسيرة السياسية والاجتماعية لأهل البيت عليهم السلام، إذن لحدثت انشقاقات على مساحة الإسلام كله أشد وأدهى مما حصل حتى الآن، ولما أمكن على الإطلاق المحافظة على المكاسب التي حققتها الأمة الإسلامية في عصور ازدهارها، وكانت إلى حد كبير هي العاصم من الانحلال والذوبان في عصور الضعف والوهن.

أسس الميثاق التأسيسي

إن الميثاق التأسيسي لهيئة قضايا الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب يقوم على الأسس التالية:

ـ **الأساس الأول** : وهو أن المسلمين اتفقوا علي أمر جامع يوحدهم في دائرة الإسلام ؛ وعلى هذا الأساس يتشكل منهم جميعًا كيان الأمة وينتزع من هذا الواقع مفهوم الأمة الإسلامية الذي ثبت له في الشرع أحكام شرعية وضعية وتكليفية. إن الثوابت الكبرى في الإسلام التي أجمع المسلمون على الإيمان بها والالتزام بها هي أساس الإسلام، حيث إن المسلم هو من آمن والتزم بها، وأن من أنكرها أوأنكر بعضها ليس مسلمًا ؛ وهذا موضع وفاق بين المسلمين. وبهذا يتبين أن الواقع التنظيمي للأمة هو الوحدة. ونحن لا نسعى إلى إيجاد وحدة مفقودة ومعدومة، وإنما نسعى إلى تأصيل وحدة قائمة وتفعيلها وجعلها حية فاعلة في حياة المسلمين العامة، فيما يتعلق بقضاياهم المحلية والإقليمية والعالمية. وهذا الأساس يجب أن يكون ـ كسائر الأسس الآتي ذكرها ـ موضوع تبصر من قبل قيادات الأمة في جميع المستويات وخاصة في مستوى التفقه ومستوى التثقيف.

ـ **الأساس الثاني** : إنّ التمذهب ظاهرة طبيعية في كل عالم ثقافي حضاري، وهو مما يتفق مع الفطرة. إننا لا نعتبر التمذهب، بالمعني الفقهي، تمزّقًا في الإسلام، بل هو منسجم مع طبيعة اختلاف الأفهام والمدارك والرؤى في ضمن الإطار الواحد الجامع. إنّ الاختلافات المذهبية أمر طبيعي، وهي ناشئة من الاختلاف الاجتهادي في فهم ظواهر الكتاب وفي تقييم السنة، إنْ من حيث الصدور أو من حيث الظهور. جوهر الخلاف كما آل إليه وكما

يجب أن يكون فهمه في عصرنا هو هذا : أي أن الخلاف ناشئ من اعتبارات عقلية ثقافية ترجع إلى الفهم الفقهي ولا يجوز أن تكون لهذه الاختلافات تعبيرات سياسية وتنظيمية على مستوى علاقات المواطنة وعلى مستوى علاقات المواطنين بالدولة والحكومة وموقعهم في النظام السياسي. ربما كان يوجد اعتبار سياسي في خلفيات بعض الخلافات القديمة، ولكن هذا زمن انقضى وانقطعت مقتضيات الخلاف فيه، أما الآن فيجب أن يحصر الاختلاف في المسالك والمناهج الفقهية في اختلاف فهم ظواهر الكتاب والاختلاف في السنة من حيث الصدور ومن حيث الظهور. هذه المذاهب تتمتع بالشرعية الكاملة من كل مذهب تجاه المذاهب الأخرى، فأتباع كل مذهب يجب أن يكونوا معترفًا بهم باعتبارهم مسلمين كاملي حقوق الانتماء إلى الإسلام على مستوى الأمة وعلى مستوى مجتمعهم الوطني الخاص، ويتمتعون بكل ما تتمتع به المذاهب الأخرى من دون اعتبار لكونهم أكثرية أو أقلية، بل لا يجوز اعتبار التنوع المذهبي أساسًا للتصنيف إلى أقلية وأكثرية، ويجب أن تحترم عقائدهم وأفهامهم الخاصة وأن لا ينعكس تنوعهم المذهبي إذا كانوا أقلية على إمكانات اندماجهم في المجتمع وعلى تمتعهم بحقوق عضوية المجتمع وعضوية الأمة في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

- **الأساس الثالث** : إن المرجع في فهم منهج كل مذهب ورؤيته

العقائدية ومنهجه الفقهي هو أئمة وعلماء المذهب نفسه، والكتب المعتمدة فيه على نطاق واسع ورسمي وليس الآراء الشاذة منه، وليس ما يقوله عنه أو ما قاله عنه في الماضي خصومه ومناوئوه في المذاهب الأخرى. ولا يجوز الحكم على المذهب استنادًا إلى التفاصيل الشاذة والغامضة، بل يجب أن يرجع في درسها لإثباتها أو نفيها أو تأويلها إلى المرجعية العقائدية والفكرية والفقهية لأتباع المذهب نفسه، ولا يجوز أن تكون موضوع اجتهادات أو أحكام من قبل مصادر أخرى في مذاهب أخرى.

ـ الأساس الرابع : تحريم التبشير في داخل الإسلام، فلا يجوز للشيعة أن يقوموا بنشاط تبشيري داخل هذا المذهب الإسلامي أو ذاك، ولا يصح من أي مذهب منفرد أن يقوم بنشاط تبشيري على مستوى عام داخل المذاهب الأخرى، كما لا يجوز ولا يصح أن يقوم أهل السنة باعتبارهم كتلة عقائدية بأنشطة تبشيرية مبرمجة وممنهجة داخل الشيعة. وأما الانتقال من مذهب إلى مذهب على صعيد فردي فهذا شأن من شؤون كل شخص بحسب قناعاته التي يكوّنها نتيجة لقراءاته وتفكيره الخاص. وإذا قرّر مسلم من المسلمين، من مذهب معيّن، الانتقال إلى مذهب آخر فإن إرادته ورغبته يجب أن تُحترم وتُطبّق عليه باحترام أحكام المذهب الذي اختاره بحرية ضميره.

ـ **الأساس الخامس** : لا يجوز أن تؤدي الاختلافات المذهبية داخل المجتمع الإسلامي الوطني في أية دولة إسلامية أو على

مساحة العالم الإسلامي كله، إلى اعتبار أي فريق من المسلمين أقلية لا تتمتع بحقوق الأكثرية المذهبية في ذلك المجتمع أو على مستوي العالم الإسلامي، بل يجب أن يعتبر الجميع سواء في حقوق المواطنة وواجباتها.

خاتمة : فتح باب الاجتهاد

على هذه الأسس ندعو إلى تعزيز الاتجاه العام الذي وفق الله له في الأعصار الأخيرة على مستوى الأمة الإسلامية، وهو فتح باب الاجتهاد.

وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الاجتهاد لا يزال اجتهادًا مذهبيًا عند الجميع، بحيث أن كل أئمة وفقهاء كل مذهب يعملون على الاجتهاد في نطاق منهج وأصول وقواعد مذهبهم الخاص، وهذا أمر حسن في ذاته، ولكن هذا لا يخدم مقصد الوحدة والتقريب، وإنما يعزز الحيوية الفكرية والفقهية في داخل هذا المذهب المعين بالخصوص.

نحن ندعو ـ في نطاق مشروع تأصيل وحدة المسلمين والتقريب بين المذاهب ـ إلى تأسيس منهج الاجتهاد المطلق العام في جميع المذاهب.

ومن هنا يجب أن تعزز في جميع الدوائر العلمية عند جميع المسلمين الدراسات الأصولية والفقهية المقارنة، بهدف العمل على تكوين مجتهدين مطلقين في المذاهب الإسلامية كلها، على مستوي الإسلام كله، وليس على مستوى مذهب معين.

فليكن هناك مستويان من الاجتهاد: مستوى الاجتهاد المذهبي

الخاص الذي يلبي حاجة أتباع المذهب، واجتهاد مطلق عام يلبي حاجة الأمة في قضاياها الكبرى.

وفي هذا الإطار يجب أن تتكون مجامع فكرية وعلمية تقوم على أساس قضية وحدة الأمة والتقريب بين اتجاهاتها الفقهية ؛ وهذا أمر حاصل الآن بالجملة من خلال ما يعقد من مؤتمرات وندوات وما إلى ذلك، ولكن نأمل أن تؤصَّل فكرة إنشاء مؤسسات بحثية دائمة في هذا الشأن ؛ ولعلّ مجامع الفقه الإسلامي هي بعض مظاهر هذه المؤسسات التي نشير إليها.

وهنا أرى من المناسب أن أثبت كلمة عظيمة الأهمية للمرجع الديني الشيعي الكبير السيد البروجردي الذي قال: إن عقيدة الشيعة مبنية على ركنين : الأول الاعتقاد بإمامة علي والأئمة عليهم السلام من بعده، وأنه كان خليفة الرسول الأول. الثاني ـ أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم المرجع لحل المشاكل الدينية والأحكام بنص من الرسول في حديث الثقلين، حيث قال: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي.. . ويتابع المرجع البروجردي أن قضية الخلافة لا تحتاج إليها الأمة الآن، والبحث فيها مثار الاختلاف من دون أن يكون له ضرورة، وإنما هي في عهدة التاريخ، فلا داعي للخوض فيها. وأما أن الأئمة كانوا مرجعًا للأحكام فهي حاجة لا تختص بزمان دون زمان، فعلينا أن نكتفي في بحث الإمامة بهذه، ونسكت عن الأولى، ولا ضير في ذلك .

إن هذه الكلمة للمرجع الإمام البروجردي تكشف عن الرؤية

القائمة على اعتبار وحدة الأمة، والناظرة إلى التقريب بين المذاهب، وهي عظيمة القيمة في أطروحتنا التي نقدمها للأمة الإسلامية في مشروع ترسيخ الوحدة والتقريب بين المذاهب. إن ملاحظة مقتضيات عقيدة الشيعة الإمامية تكشف عن أنهم هم أهل الجماعة، حيث إنهم يذهبون إلى عدم جواز تفريق كلمة المسلمين، ويقفون من قضية الوحدة موقفًا صارمًا لا لبس فيه ولا تردد، فيجزمون بتحريم ما يؤدي إلى الفتنة بين المسلمين.

وقد كان نهج أئمة أهل البيت عليهم السلام في زمن اشتعال الفتن والحروب الأهلية يقوم على تجنب الدخول في الحروب الأهلية وعدم التعاون مع أطرافها، مع الالتزام بعدم التعاون مع السلطة القائمة. ولكن هذا الموقف من الفتن ومن السلطة لا يؤدي إلى الاعتزال عن الأمة أو عدم الالتزام بوحدتها، بل يقوم على الاندماج الكامل بالأمة وتجنب كل ما يؤدي إلى تفريق الكلمة والإخلال بالوحدة.

ومن هنا لا يمكن القول إنّ الشيعة الإمامية يتمايزون عن أهل السنة والجماعة في هذا الشأن. وهنا ملاحظة مهمة جدًا وهي أن تسمية أتباع المذاهب الأربعة (الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي) بـ أهل السنة لا تعني السنّة النبويّة فقط، وإنّما السنّة بمعناها الأوسع عندهم؛ وهي تشمل الماضي كله، يعني أنهم يمثّلون الخط الفكري الذي يحترم كل الماضي وكل التراث، وكل ما وقع من المسلمين، وربما يكون هذا هو الأساس لقول من قال بحجيّة رأي الصحابي أو رأي التابعي أيضًا (هذه النقطة يجب التوسع والتعمق فيها).

إنّ موقف الشيعة الإمامية من قضية ثبوت الإسلام لشخص هو اعتبار كل من نطق بالشهادتين مسلمًا. وكذلك اعتبروا أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو الحال في عقيدة أهل السنة والجماعة. ومن هنا فهم يحرمون دماء أهل القبلة ويجرون أحكام الإسلام على كل أهل القبلة، ما لم يثبت عن بعضهم العمل على خلاف ما يقتضيه اعترافه المعلن بالشهادتين، حيث إنّ المعلن للإسلام تارة يطبق بنحو جزئي أو كامل في حياته العملية أحكام الإسلام في مجال العبادات والمعاملات، وتارة لا يطبق شيئًا من هذه الأحكام، فإذا عمل فينبغي أن يكون عمله منسجمًا مع الاتجاه الفقهي العام والسائد بين المسلمين، أما أن يعمل بما يخالف الاتجاه الفقهي والسائد، ويدعي أن هذا هو ما تعنيه الشريعة، من قبيل ما يقوم به الدروز في فقههم وفي اعتقاداتهم العملية أو بعض الفرق الباطنية الأخرى، فإن هذا يبعث على الشك في صدق عنوان الإسلام عليهم.

فالإسلام عند الإمامية دين مفتوح ومتحرك، وليس منغلقًا على فئة بعينها، هي خصوص الملتزمين بالعقيدة التفصيلية في قضية لإمامة وقضية العصمة، بل الإسلام دين مفتوح ينتظمهم وينتظم غيرهم من سائر المسلمين وهو منفتح لكل من دخل فيه على قاعدة الإعلان بالشهادتين، سواء انتسب في انتمائه الخاص إلى اتجاههم أو إلى الاتجاهات الأخرى داخل الدائرة السنية حسب الخط الأشعري أو المعتزلي أو الماتريدي أو ما إلى ذلك.

المثقفون والبحث عن النهايات

زكي الميلاد*

• المثقف على طريقة الشعراء حين يحلم يكون مسرفًا في الحلم، وحين ينعى يكون مسرفًا في النعي كذلك • خطاب النهايات يحمل نعيًا لما هو كائن • ينتمي خطاب النهايات زمنًا ومعرفة وتاريخًا إلى النسق الفكري الغربي • نعيش في زمان ثقافي وتاريخي يختلف كليًا وجذريًا ولا يقبل القياس والمقارنة وطبيعة الزمان الثقافي والتاريخي داخل النسق الغربي • هل نحن حقًا إزاء فتح كوني مع العولمة، أم أنه فتح كوني لمن يتحكم بالعولمة وآلياتها وهو الغرب! • عند الغربيين لا تستعمل مقولة النهايات بنسق موحد من جهة الفهم والمعنى • الذين قالوا بنهاية المؤلف قصدوا أن النقد ينبغي أن يتجه إلى النص وليس إلى المؤلف • فتحت مقولة نهاية المثقف جدلاً واسعًا في العديد من منظومات الثقافات الإنسانية.

-١-

المثقفون العرب وخطاب النهايات

لقد وجد بعض المثقفين العرب دهشة في خطاب النهايات،

* - باحث ومفكر من المملكة العربية السعودية رئيس تحرير مجلة «الكلمة».

بوصفه خطابًا يحمل نعيًا من جهة، وحلمًا من جهة أخرى، وما بين النعي والحلم يتحدد مدار حركة طبقة المثقفين عادةً، الذين يغلب على مزاجهم وخطابهم ومواقفهم الذهنية والنفسية والاجتماعية النعي تارة، والحلم تارة أخرى، وغالبًا ما يحدث أن يبدأ المثقف عندنا بواكير حياته حالمًا وينتهي في أواخر حياته ناعيًا، وكأن حركة التاريخ في مجالنا العربي والإسلامي تسير نحو نكوص وأفول تجعل من النعي خطابًا مفضلاً عند البعض أو عند شريحة كبيرة من المثقفين.

وكثيرًا ما ينتقد المثقفون في مجتمعاتنا بسبب الحلم أو بسبب النعي، لأن المثقف على طريقة الشعراء حين يحلم يكون مسرفًا في الحلم، وحين ينعى يكون مسرفًا في النعي كذلك، وعلى طريقة الشعراء أيضًا.

كما أن الحلم عند المثقف هو غير الحلم عند غيره، والنعي عند المثقف هو غير النعي عند غيره أيضًا، ففي الحلم ينتقل المثقف من أفلاطون وجمهوريته إلى الفارابي ومدينته الفاضلة، وفي النعي عنده طبقات لا تُعد ولا تُحصى من شعراء الرثاء، من ابن الرومي في العصر القديم إلى أحمد شوقي في العصر الحديث. ليس هذا فحسب فهناك المثقف الذي ينعى حلمه ويحوّل حلمه نعيًا، وهناك من يحلم نعيًا ويحول نعيه حلمًا.

وخطاب النهايات يحمل نعيًا لما هو كائن، ويحمل حلمًا لما ينبغي أن يكون، لكنه ليس بالضرورة أن ينتهي بصيرورته من ما

هو كائن، إلى ما ينبغي أن يكون. لأن هذا الخطاب قد ينقلب على وظيفته، ويتحول إلى مجرد لعبة يلعبها الكاتب أو المثقف في إطار ما يسمى بلعبة اللغة، التي تجعل من الكلمات والألفاظ والمفاهيم والمصطلحات أداة ومسرحًا لها، وهي أكبر لعبة يحسن الكاتب أو المثقف إدارتها والسيطرة عليها، فهو يعرف كيف ومتى يدخل فيها، وكيف ومتى يخرج منها، وكيف ينتقل فيها من دور إلى دور، ومن حال إلى حال، من المجاز إلى الحقيقة، ومن الحقيقة إلى المجاز، ومن تقمص فعل الماضي إلى تقمص فعل الحاضر والمستقبل، إلى باقي التصرفات والأفعال الأخرى، ويعرف كيف يتحرك فيها من زاوية إلى زاوية أخرى، ومن ساحة إلى ساحة أخرى، وفي كل هذه الحالات لا تتجاوز اللعبة إطار اللغة.

ومن وجهة آخر، ينتمي خطاب النهايات زمنًا ومعرفة وتاريخًا إلى النسق الفكري الغربي، وهو خطاب غربي بامتياز، ويعبّر عن موجة من الكتابات المتتالية والمتراكمة، التي تصنف على حقول وميادين متعددة ومتنوعة.

ويتصل هذا الخطاب الباحث عن النهايات بطبيعة التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتكنولوجية المتسارعة والمتعاظمة في داخل الغرب، والمؤثرة بقوة على مجريات الحياة، وعلى حركة التطور والتقدم هناك.

ومن وجه نقدي يظهر على هذه الموجة، كما لو أنها مصابة بلوثة، هي لوثة التعلق بمقولة النهايات، التي ظلت تنتقل من

موضوع إلى آخر، ومن حقل إلى حقل آخر، وتكاد تصل إلى كل شيء هناك، بغض النظر عن صدقية هذه المقولة، فمن نهاية المؤلف ونهاية المنهج ونهاية الكتاب ونهاية المثقف، إلى نهاية العلم ونهاية الفلسفة ونهاية الجغرافيا ونهاية التاريخ ونهاية العلوم الاجتماعية، وصولاً إلى نهاية الإنسان ونهاية الدولة ونهاية الأرض.. إلى غير ذلك من قضايا وعناوين، يبدو أنها لن تقف عند حد معين، وحول هذه النهايات وغيرها صدرت كتابات ومؤلفات وما زالت تصدر ولن تتوقف أيضًا، حتى لو وصلنا إلى نهاية النهايات.

-٢-

العولمة وخطاب النهايات

إذا كان من المبرر موضوعيًا وثقافيًا الحديث عن خطاب النهايات في داخل النسق الفكري الغربي، فإن هذا المبرر بكل صوره وأنماطه ينعدم كليًا، ويفتقد لشروطه في مجالنا العربي والإسلامي، لأننا وببساطة شديدة نعيش في زمان ثقافي وتاريخي يختلف كليًا وجذريًا ولا يقبل القياس والمقارنة، وطبيعة الزمان الثقافي والتاريخي داخل النسق الغربي.

هو الفرق الذي يظهر واضحًا ما بين زمان المجتمعات التي تعيش مرحلة ما قبل التقدم كحال مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ومجتمعات أخرى تنتمي إلى دول العالم الثالث، وبين المجتمعات التي تعيش مرحلة ما بعد التقدم كحال مجتمعات الغرب، فنحن

مازلنا في مرحلة ما يُسمى بزمن ألما قبليات، ما قبل التقدم، وما قبل الحداثة، وما قبل المدنية إلى غير ذلك من القائمة التي تطول، بينما خطاب النهايات يبشر بمرحلة ما يُسمى بزمن ألما بعديات، ما بعد التقدم، وما بعد الحداثة، وما بعد المدنية، وهنا أيضًا القائمة تطول.

والمثقفون عندنا هم أكثر من يدرك هذه المفارقة التي لا تكاد تغيب عن أذهانهم، مع ذلك هم أكثر من يتحدث عن خطاب النهايات، كما لو أن هذا الخطاب ينتمي إلى مجالنا العربي والإسلامي وهو ليس كذلك بالطبع، الأمر الذي يكشف عن ازدواجية أو اختلاط الزمان الثقافي والتاريخي عند هؤلاء المثقفين بوعي أو بدون وعي، أو كأنهم ينتمون إلى زمنين مختلفين، زمن يعيشونه ذهنيًا وينتمي إلى مجال الغرب الثقافي والتاريخي، وزمن يعيشونه حسيًا وينتمي إلى مجالنا الثقافي والتاريخي.

ولعل في تقدير البعض أن هذا التباين في الأزمنة بين العوالم المختلفة، قد تغيّر أو تبّدل في عصر العولمة التي جعلت العالم يعيش مكرهًا على إيقاع زمن واحد، بعد أن أصبح العالم متداخلاً ومترابطًا بين أجزائه وعناصره المتباعدة والمتناثرة من قبل، وتحوَّل إلى ما يشبه قرية كونية تتصاغر مع مرور الوقت، بفضل تقنيات العولمة، والتطورات المذهلة في تكنولوجيا الإعلام وشبكات الاتصال وثورة المعلومات.

وهذا ما حاول أن يبشِّر به المفكر اللبناني علي حرب في

كتابه: *حديث النهايات* الصادر سنة ٢٠٠م، الذي ظل يتحدث فيه من المقدمة إلى الخاتمة عن فتوحات العولمة الخارقة، وتحولاتها الجارفة، التي تفتح حقًا حسب عبارته آفاقًا جديدة للوجود والحياة.

ويُعدّ هذا الكتاب من أكثر الكتابات العربية التي حاولت أن تصور العولمة بوصفها فتحًا عظيمًا وخارقًا على مستوى العالم، فنحن في نظره إزاء فتح كوني، يتغير معه سير العالم على ما كان يجري عليه حتى الآن، وهذا ما يشهد به ـ حسب قوله ـ الكلام الذي أطلق وما يزال يُطلق على النهايات، نهاية الإنسان والتاريخ، أو نهاية المثقف والأيديولوجيا، أو نهاية السياسة والجغرافية، بالإضافة إلى الكلام المتكاثر على البَعديات، ما بعد الحداثة والصناعة، أو ما بعد العلم والفلسفة، أو ما بعد الدولة والديمقراطية. وتأويل هذه المقولات حول النهايات والبعديات في رأيه أن العالم الموجود نفسه لم يعد كما كان عليه، إنْ من حيث زمنه وفضائه، أو من حيث نظامه وإيقاعه، أو من حيث قواه وآلياته، فضلاً عن عقلانيته وأنسيته.

وأول الكلام هو كيف تسالم علي حرب وبسهولة مع هذا الطرح، الذي لا يخلو من مخادعة وتضليل، وهو المعروف بنزعته الشكية والنقدية الجذرية والصارمة، وعلى طريقة اتجاه ما بعد الحداثة الذي يتناغم معه، وهو أكثر من يتمثله في المجال الفكري العربي! وكيف تقبّل أن يكون مبجلاً ومبشرًا في حديثه

عن العولمة وفتوحاتها العظيمة والخارقة، وهو الذي يقدّم نفسه متعاليًا عن هذا النمط التبجيلي والتبشيري من الخطاب ويمقته ويتنكر له.

ثم هل نحن حقًا إزاء فتح كوني مع العولمة، أم أنه فتح كوني لمن يتحكم بالعولمة وآلياتها وهو الغرب! ولماذا نتعامل مع العولمة بهذا السكون، وبهذه الأحادية، التي تفترض صورة ونمطًا ومسلكًا أحاديًا وثابتًا ونهائيًا للعولمة، وهي ليست كذلك قطعًا، فالعولمة في أوروبا ليست هي العولمة في أفريقيا، والعولمة في الصين ليست هي العولمة في اليابان، في حركتها وتموجاتها ومفاعيلها، والعولمة اليوم ليست هي العولمة بعد ربع قرن.

وطريقة علي حرب في الحديث عن العولمة هي طريقة الركون إلى العولمة والخضوع لها، والاندغام فيها، وكأنها فرضت علينا سطوتها وإكراهاتها، أو كأنها تمكنت من احتوائنا والسيطرة علينا، في حين أنها كانت بحاجة إلى نقد، وإلى النقد الصارم الذي عرف به علي حرب، وماذا يعني لنا حديث النهايات، ونحن في مازلنا نبحث عن البدايات.

-٣-

خطاب النهايات عند الغربيين

يبدو أن المفكرين الغربيين وجدوا جاذبية خاصة في مقولة النهايات، التي تحوّلت عندهم إلى مقولة مفضلة، التفضيل الذي يكشف عنه الاستعمال الواسع لهذه المقولة، وتواترها المتصل في

كتاباتهم ومؤلفاتهم، على تعدد واختلاف موضوعاتها ومجالاتها، وهم المعروف عنهم، أو عند شريحة كبيرة منهم، الخشية والحذر من الوقوع في التكرار والاجترار، أو الظهور بمظهر التقليد والتبعية للآخرين، وهكذا الخوف والاحتراز من النقد وسطوته الشديدة عندهم.

وتُعدّ هذه المقولة بهذا القدر من التواتر، من المقولات الحديثة، والتي تنتمي بشكل أساسي إلى العقود الأخيرة من القرن العشرين، وعرفت بها الثقافة الأوروبية، ومازالت تعرف بها أكثر من غيرها من الثقافات الإنسانية الأخرى، وكأن هذه المقولة هي أقرب إلى روح الثقافة الأوروبية وطبيعة تطورها التاريخي، ولها علاقة بأنماط التحولات الشاملة والعميقة التي شهدتها وتشهدها الحضارة الغربية، وبحركة وتراكم العلوم والمعارف على تعدّد وتنوع مجالاتها وميادينها الإنسانية والطبيعية هناك.

ولا أعلم فيما إذا كانت هذه المقولة، : قد دُرست عند الغربيين بوصفها فكرة ناضجة في داخل الفكر الغربي أو التاريخ الغربي الحديث، وما إذا أنجزت حولها كتابات ومؤلفات، إلا أنها تصلح بالتأكيد لأن تكون موضوعًا للدراسة والبحث، ولعله موضوعًا شيقًا على ما أظن، تكون شبيهة بالدراسة التي أنجزها الباحث الأمريكي آرثر هيرمان حول *فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي* الصادرة عام ١٩٩٧م، والتي تتبع فيها فكرة الاضمحلال عند الغربيين في كتاباتهم ومؤلفاتهم، وحسب ميولهم

واتجاهاتهم، وعلى أساس أزمنتهم وأمكنتهم، وجاءت في سياق ما عُرف بعلم الأفكار الذي يتتبع تاريخ فكرة معينة، ويكشف عن أطوارها وتحولاتها، وعلاقتها بالأبعاد والسياقات الأخرى المتصلة بها.

وسوف تظهر مثل هذه الدراسات عاجلاً أم آجلاً، مع نمو هذه الفكرة وتراكمها واتساعها، ولكونها فكرة لافتة بطبعها، وتشدّ الانتباه إليها.

ومن أكثر المقولات حديثًا التي شدّت الانتباه إلى فكرة النهايات، هي مقولة نهاية التاريخ التي تحدث عنها الكاتب الأمريكي الياباني الأصل فرنسيس فوكوياما، في مقالة نشرها بهذا العنوان بمجلة (ناشيونال انترسمت) صيف ١٩٨٩م، والتي سرعان ما احتلت العناوين الرئيسية في مجلات (التايم) و(النيوزويك) وغيرها، وتحوّلت في فترة قياسية حسب قول الكاتب الأمريكي ألن ريان، إلى رعشة في كل العالم، وحرّكت من الجدل والسجال في الغرب والعالم، بما يفوق المقولات الأخرى.

وعند الغربيين لا تستعمل مقولة النهايات بنسق موحد من جهة الفهم والمعنى، فهناك تعدد واختلاف من هذه الجهة، فقد تعني هذه المقولة عند البعض، بمعنى الوصول إلى حالة من العجز والتوقف والانسداد النهائي، وإلى هذا المعنى ذهب صاحب كتاب: *نهاية العلم.. مواجهة حدود المعرفة في نسق العصر العلمي*، الكاتب الأمريكي المحرر في المجلة المتخصصة بالعلوم

الأمريكية جون هورجن، الذي اعتبر أن العلم وصل إلى ثلاث انسدادات وصلت به إلى نهايته، وهذه الانسدادات في نظره هي:

أولاً: أنه لم يعد هناك اكتشافات كبرى تحدث على صعيد العلم.

ثانيًا: إن العلم المعاصر تحول إلى عمليات رياضية معقدة لا يفهمها، ولا يهتم بها معظم البشر على الإطلاق.

ثالثًا: إن بعض ما يبحث عنه أهل العلم اليوم، أو يزعمون ذلك لن يصلوا إليه أبدًا.

وقد تعني هذه المقولة عند آخرين، بمعنى الاكتمال النهائي الذي ليس بعده شيء، فيتوقف عند هذا الحد من الاكتمال، ويدور حوله، وفي إطاره، بدون أن يضيف إليه أو يزيد عليه، وإلى هذا المعنى ذهب الفلاسفة المحدثين حين أطلقوا مقولة نهاية الفلسفة، وكانوا يقصدون بهذه المقولة حسب مترجمي كتاب: *مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة.. حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر* الصادر سنة ١٩٩٦م، محمد الشيخ وياسر الطائي، أن الفلسفة أكملت ذاتها بذاتها، واستنفدت جلّ إمكانياتها الذاتية، وذلك باعتبارها بنية فكرية ذات تاريخ وأصول وتقاليد، أي أنه لم يعد في الإمكان التفلسف على ما جرت عليه العادة، كما لم يعد في المستطاع معاكسة هذه الحقيقة، إلا إذا أردنا للخطاب الفلسفي أن يتحوّل إلى ضرب من التكرار والاجترار، والوقوع في الأدوار.

وعند آخرين أيضًا قد تعني هذه المقولة الوصول إلى نقطة

الحسم ونهاية النزاع وبقاء الأصلح واكتمال الاختبار، وهذا ما ذهب إليه صاحب مقولة *نهاية التاريخ* فرنسيس فوكوياما الذي وجد في سقوط الماركسية، وتفكك الاتحاد السوفيتي، وتصدّع المنظومة الشرقية الشيوعية نهاية للتاريخ على مستوى صراع الأفكار حيث لم يعد التاريخ ساحة صراع الأفكار بعد سقوط الماركسية وانتصار الديمقراطية الليبرالية الغربية المتفوقة والتي باتت حسب تقديره هي خيار البشرية الأمثل والأخير بلا منازع.

وفي نظر البعض تعني هذه المقولة نهاية طور وبداية طور جديد، أو ضرورة البحث عن طور جديد بعد نهاية الطور السابق عليه، أو الحكم على هذا الطور السابق بالنهاية والأفول، وأنه بات ينتمي إلى مرحلة عُدّت في نظر هذا البعض منتهية أو أنها في حكم المنتهية، فالذين قالوا بنهاية الحداثة اعتبروا أن الحداثة هي مقولة زمن القرن العشرين، كما كانت النهضة هي مقولة القرن السادس عشر، ومقولة التنوير في القرن الثامن عشر، وتحدثوا عن ما بعد الحداثة بوصفها مقولة القرن الحادي والعشرين.

وهناك من قصد بهذه المقولة ضرورة الخروج عن النمطية الثابتة والجامدة والأحادية، أو النمطية الكلية والنهائية التي تستنفد أغراضها مع مرور الوقت، تتحول إلى نمطية مستهلكة ومن ثم تفقد وهجها ومخزونها، وتجاوز هذه النمطية باكتشاف التعدد والتنوع، فالذين قالوا بنهاية المنهج مثلاً قصدوا عدم التقيد بمنهج واحد وثابت وبشكل كلي ونهائي، وضرورة الانفتاح على

جميع المناهج، فكل منهج له بصيرته التي يضيء من خلالها.

وهكذا الذين قالوا بنهاية المؤلف قصدوا أن النقد ينبغي أن يتجه إلى النص وليس إلى المؤلف الذي ينتهي دوره أو مهمته حسب هذا التصور باكتمال النص، ويُعدّ النص هو الأساس وليس المؤلف، وفي هذه الحالة يكون انتماء النص إلى العلم والمعرفة وليس إلى المؤلف، أي أنه ينتقل من المؤلف إلى العلم.

ومن بعد آخر يقصد بهذه المقولة أن القارئ لا يتقيد بالمؤلف في فهم النص وتكوين المعرفة به، أي أن القارئ أو الناقد لهما الحق في فهم النص بعيدًا عن سلطة المؤلف. وهكذا تتعدد المعاني وتختلف المقاصد لمقولة النهايات عند الغربيين وفي مثل هذه الحالة يجري البحث عن فلسفة هذه المقولة، الفلسفة التي يُراد منها بلورة الإطار الكلي الذي يجمع تلك المعاني المتعددة، ويربط بينها ويجعلها في اتصال وتفاعل للاستفادة منها جميعًا، وهذا ما لم يتحدد ويتبلور بعد، وتبقى الحاجة قائمة إليه.

-٤-

هل من الممكن نهاية المثقف؟

لقد فتحت مقولة نهاية المثقف جدلاً واسعًا في العديد من منظومات الثقافات الإنسانية، وذلك لما تحمله هذه المقولة من طبيعة نقدية وسجالية تستفز المثقف وتستدرجه بسهولة نحو التعاطي والتفاعل معها، وهو الميّال بطبعه نحو النقد والجدل والسجال، ولهذا النمط من المقولات الشكاكة، أي التي يغلب

عليها الشك، أو التي تجعل من الشك سمة لها، علمًا أن المثقف هو الذي فتح على نفسه هذا الحديث، وهو الذي انخرط فيه، وانقسم على ذاته حين عبّر عن وجهات نظر متباينة ومتغايرة في هذا الشأن.

وقد ارتبطت هذه المقولة، بأكثر من سياق في النطاق الثقافي والإنساني، فقد ارتبطت بسياق نهاية الدور المعرفي للمثقف، أو نهاية دور المثقف في إنتاج المعرفة، أو نهاية المثقف بوصفه جسرًا أو رافدًا للمعرفة في المجتمع، وذلك في عصر شهد فيه العالم أكبر شيوع للمعرفة يمرّ به التاريخ الإنساني، ففي ظل ثورة المعلومات، وما سُمّي بانفجار المعرفة، ومع وجود الطرق السهلة والسريعة للمعرفة والمعلومات، لم يعد المثقف يحتكر لنفسه الدور في تعميم المعرفة ونشرها وترويجها.

وفي سياق ثقافي وإنساني آخر، ارتبطت مقولة نهاية المثقف، بالتحول الذي حصل في شخصية المثقف، حين تحوّل من شخصية يحتفظ بشبكة واسعة من التواصلات المستمرة وغير المنقطعة مع الناس أو مع شريحة كبيرة منهم، إلى شخصية تكاد تنقطع عن الناس، وتفتقد جسور التواصل والتفاعل معهم، أو مع شريحة كبيرة منهم، والنموذج الذي يتوجه إليه هذا النقد هو المثقف الأكاديمي المنغلق على ذاته، والمنقطع عن الشأن الاجتماعي العام.

وفي هذا السياق جاء كتاب: *آخر المثقفين*، للكاتب

الأمريكي راسل جاكوبي، الذي وصفه إدوارد سعيد في كتابه: *صور المثقف* بالكتاب الذي أثار الكثير من النقاش في الولايات المتحدة الأمريكية، وحاول فيه مؤلفه إثبات الدعوى التي لا يرتقي إليها الشك حسب تعبير إدوارد سعيد، وهي أن المثقف اللاأكاديمي اختفى كليًا من الولايات المتحدة، ولم يخلف وراءه في ذلك الموقع سوى مجموعة متكاملة من أساتذة الجامعات، ممن تستحوذ عليهم اللغة الاصطلاحية، والذين لم يعرهم أحد في المجتمع أي اهتمام يُذكر.

ونتيجة ذلك يعتبر إدوارد سعيد أن المثقف اليوم هو على الأرجح أستاذ أدب منغلق على نفسه، ذو دخل مضمون، لا يستهويه التعاطي مع العالم الأبعد من حدود حجرة التدريس، وغرضه الأساسي هو التقدم الأكاديمي وليس التغيير الاجتماعي.

ومن الممكن أن نضيف سياقًا ثقافيًا وإنسانيًا ثالثًا، يعبّر عن مقولة نهاية المثقف أو يقترب منها، لكنه سياق يكاد أن يكون غائبًا عن هذه المقولة أو غير مشمول بها، أو لا يضمن فيها، أو لم يلتفت إليه حتى يضمن فيها، ويتحدد هذا السياق في كون أن المثقف لم يعد يتميز على الناس بتلك الفضائل والأخلاقيات التي يفترض أن تميزه، وترتفع من شأنه ومكانته والتمسك به، كالشجاعة في قول الحق بعيدًا عن الرهبة والهيبة، أو كونه صاحب الضمير الحي الذي لا يهادن ولا يتنازل عن نصرة المظلوم، أو صاحب البصيرة النافذة الذي يرسم للأمة بوصلتها، ويشقّ لها طريق النور، فقد تجد من الناس العاديين من هو أكثر شجاعة

من المثقف في قول الحق، ومن هو صاحب ضمير حي أكثر من المثقف، ومن هو صاحب بصيرة أكثر من المثقف.

وعند النظر في هذه السياقات الثلاثة، نجد أن السياق الأول كان ناظرًا إلى البعد المعرفي في مقولة نهاية المثقف، في حين أن السياق الثاني كان ناظرًا إلى البعد الاجتماعي في هذه المقولة، بينما السياق الثالث كان ناظرًا إلى البعد الأخلاقي في هذه المقولة.

والحقيقة أن هذه المقولة تكشف عن أزمة المثقف في هذه الأبعاد الثلاثة، ولا تكشف عن نهايته، لأن من غير الممكن نهاية المثقف، إلا أن تعني هذه النهاية نهاية صورة ونمط ونموذج للمثقف، بحثًا عن صورة ونمط ونموذج لمثقف آخر.

-٥-

هل انتهى عصر المثقف الشمولي؟

يذكرنا المثقف الشمولي من جهة علاقته بالمعرفة، بأولئك الفلاسفة الكبار الذين أحاطوا بالعلوم والمعارف، على تعدد وتنوع صنوفها وحقولها، وساهموا في تأسيسها، ووضع نظرياتها، وتقعيد أصولها، في عصورهم وأزمنتهم، وفي ثقافاتهم ومجتمعاتهم. ويبرز من هؤلاء أفلاطون وأرسطو في الحضارة اليونانية القديمة، والفارابي وابن سينا وابن رشد في الحضارة الإسلامية الوسيطة، وديكارت وكانت واسبينوزا في الحضارة الأوربية الحديثة.

وهذا يعني أن المثقف الشمولي لا ينتمي إلى حضارة معينة، ولا

يصنف على ثقافة خاصة، ولا يتحدد بزمن محدد، فجميع الحضارات أنجبت نموذج المثقف الشمولي في عصور ازدهارها وتقدمها العلمي والحضاري.

وبالتالي فإن المثقف الشمولي الحقيقي، هو أقرب إلى شخصية أولئك الفلاسفة الذين عرفوا عنهم الإحاطة بالعلوم والمعارف على تعدد وتنوع صنوفها وحقولها.

وهذا الصنف في عالمنا العربي الراهن هو بحكم النادر والنادر جدًا، ولا أدري إذا كان عبد الرحمن بدوي هو آخر هؤلاء في العالم العربي، الذي يصدق عليه وصف المثقف الشمولي أم لا؟ فهو المثقف والفيلسوف الأكثر قربًا وتشبهًا وتقمصًا بأولئك الفلاسفة، الذين طالما عايش نصوصهم، وتوغّل في علومهم، وترجم كتاباتهم، ويكفي لدهشتنا معرفة ما كان يتقنه من لغات، حيث عرف عنه أنه يتقن قراءة وكتابة وترجمة: اليونانية والألمانية والإنجليزية والإيطالية والأسبانية.

ولعل بات من النادر أيضًا، وجود مثل هذا المثقف الشمولي، حتى في عالمنا وعصرنا الراهن، فنادرًا ما نسمع عن مثقف أو مفكر أو عالم أو فيلسوف اتصف وتميز بشمولية المعرفة بإحاطة وتمكن واقتدار.

بهذه النماذج تتكشف صورة المثقف الشمولي الحقيقي، وتتحدد المعايير في إطلاق هذا الوصف.

ويتأثر المثقف في طرائق علاقته بالمعرفة، بطبيعة اتجاهات المعرفة السائدة في عصره، فإذا كانت المعرفة تميل أو تنحاز إلى

الشمولية، فإن المثقف سوف ينحاز إلى مثل هذه الشمولية، أما إذا كانت المعرفة تميل وتنحاز إلى التخصص، فإن المثقف سوف ينحاز إلى هذا التخصص بطبيعة الحال، باعتبار أن المثقف يتأثر بهذه المعرفة، بوصفها معرفة ساهمت في بنائه وتكوينه.

ولعل هذا ما يفسّر ميل المثقف في الأزمنة السابقة نحو الثقافة الشمولية والمعرفة الشمولية، حينما كان هذا الميل موجودًا في الثقافة والمعرفة، ويدفع المثقف لأن يأخذ من كل شيء من العلم والمعرفة بطرف، وحينما كانت العلوم والمعارف شديدة التداخل والتشابك فيما بينها، وحينما كانت الفلسفة تلعب دور الحاضن والمرجع والموجه للعلوم والمعارف.

وهذا ما يفسر كذلك ميل المثقف في الأزمنة الراهنة، نحو التخلي عن الثقافة الشمولية والمعرفة الشمولية، والاقتراب من حقول معينة في بنائه وتكوينه الثقافي والمعرفي، لكون أن المعرفة السائدة في هذا العصر تميل وتنحاز نحو المعرفة المتخصصة، وذلك بعد أن تغيّرت أحوال المعرفة في العالم تغيرًا جذريًا، وأصبحت المعرفة تتراكم وتتضاعف بسرعة مذهلة، وبعد أن انقسمت وتفرعت المعارف والعلوم، وبات من الصعب ولعل من المستحيل كذلك، الاحاطة بهذه المعارف والعلوم، فهل انتهى عصر المثقف الشمولي؟